

الشيخ الشيخ الشيخ

الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم



Abul Azayem
www.abulazayem.com



محكمة الصلح الكبرى

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

رواية محكمة الصلح الكبرى

تزيكية النفوس

حكم : لفظها سرور . ومعناها نور . وضعها العارف الرباني العالم
بالنفوس وبنفطرها حجة الله في هذا العصر سيدي السيد
محمد ماضي ابو الغزائم بأسلوب الحكيم . لتتجذب النفوس
الى الرب الكريم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ان من البيان اسجرا وان من الشعر لحكمة »

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبعت بمطبعة المدينة المنورة

بسراري الفريق بسوق مسكة بمصر

(لال الغزائم)

في غرة رمضان المبارك سنة ١٣٣٧

الطبعة الأولى ١٩١٩ م

مقدمة

الحمد لله الذى أغدق نعماه واسعة فلا يحصيها العادون، وأسبغ جدواه عميمة فلا يستقصيها الحاسبون، قدر سبحانه الآجال والأرزاق، وضمن لخلقه أرزاقهم وهو سبحانه الكريم الرزاق، وطالبهم سبحانه بشكره وذكره والقيام بعبادته، ووعدهم سبحانه ببره، خلق الإنسان من عناصر متباينة وجمعها بقدرته، فصارت بحكمته متحدة كائنة، خلق الإنسان سبحانه فى أحسن تقويم وسخر له كل شىء فى ملكه وملكوته من الخير العظيم، ولكنه سبحانه رده إلى أسفل سافلين لىبتليه وهو القهار المعين، فأعان من شاء بعنايته وأقامه مقام أهل محبته بولايته، ووكل من شاء إلى نفسه وهو الحكيم الخبير، بعد أن هداه النجدين وبين له السبيل وهو العليم القدير.

جعل سبحانه للإنسان حرية الإرادة والعمل، وتفضل عليه بما به يبلغ الأمل وأخفى عنه سر القدر، وطالبه بما بين له من الأثر، وأظهر له الأحكام وبين له سبل الإسلام، وأخفى عنه ما قدره أزلاً ليرجو ويخاف ويحسن عملاً، والصلاة والسلام على من بعثه الله للناس كافة، رحمة ونوراً وهداية وسراجاً منيراً، الشمس التى بينت سبل الله بنورها القدسى، والرؤوف الرحيم الذى هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ورحمة الله العامة وعلى آله وصحبه وورثته والتابعين.

وبعد... فيقول آل العزائم إن الكثيرين من رجال العلم والتقوى، ممن يهتمهم صلاح المجتمع الإسلامى بالوسائل المؤثرة، دعونا لما نحن عليه الآن إلى أن نلتمس من سيدنا ووالدنا ومرشدنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم، أن يملينا رسالة بأسلوب تألفه النفوس، وتستبين به عيوب النقائص التى ألت بها فى هذا العصر على نمط الروايات، تكون علاجاً لتلك الأمراض وشفاءً من الله تعالى للأسقام الأخلاقية، لأن أمراض النفس تتجدد بتجدد ما أحاط بالحس من الكماليات التى لم تكن، ومن معاشرة ومجالسة المرضى،

خصوصاً وقد تقارب الزمان فصار كل ما كان يقضيه الإنسان في أسابيع سفيراً أو عملاً يمكنه أن يقوم به في اليوم الواحد، ومعلوم أن الأخلاق والعوائد الإسلامية هما اللذان يضمنان للإنسان العيشة المرضية في الدنيا في بحبوحة الحرية والمساواة، والسعادة في الآخرة في جوار أنبياء الله، فالتمسنا منه ذلك بعد بيان الضرورة الداعية إلى هذا الدواء النافع، وما ينتج عنه من الخير العام، فشرح الله صدره لذلك وأملى علينا ما يأتي:

الحمد لله الذى أكرم الإنسان بالبيان ليكمل النفوس بالحكمة علماً وعملاً، كما أكرمه بسوايغ الآلاء ليكمل الأجسام عافية وبقاء حتى الأجل المقدر، والصلاة والسلام على الرؤوف الرحيم ذى الخلق العظيم وآله.

وبعد... فإن المسؤولية على كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامى عظيمة جداً، لأن كل فرد مطالب بحقوق عليه الله تعالى ولرسوله ﷺ وللعلم الخير وللوالدين، ولذى القربى ولعامة المسلمين وخاصتهم، فلكل مسلم أين كان وكيف كان، على كل مسلم حق يتعين عليه عند مقتضاه ونجاته في الدنيا والآخرة بالقيام به، لأن كل فرد ككل عضو من الجسد، والمجتمع للفرد كالجسد للعضو، والمسلمين جميعاً جسد واحد، إذا أودى فرد منهم تداعى له جميع المجتمع بالسهر والروية، نصرة وإعزازاً ودفعاً للبلاء كما يتداعى الجسد بالحمى لمرض أصغر عضو من أعضائه.

ولما كانت الأمراض التى اعتورت المجتمع وأضرت أفرادها تجعل المسؤولية أعظم على المجتمع بل وعلى كل فرد، ولما كنت فرداً من أفراد المجتمع كعضو من الجسد، أرى سعادتى ومسرأتى بقوة المجتمع والتمكين له في الأرض، بل وأرى نجاتى يوم القيامة بقيام كل المجتمع لنيل مرضى الله ومحابه سبحانه وتعالى، حتى أكون في الدنيا عبداً صرفاً لله عزيزاً بعبودتى له وعبادتى وعبوديتى، فلا أرى رباً نافعاً ضاراً إلا الله سبحانه وتعالى، وأرى سواه ومن سواه عبداً مقهورين وعبيداً مربوبين، لذلك دعوتنى نفسى أن أعالجها مما ألم بها من أمراض الأخلاق والأهواء والمحظوظ التى تسربت إليها لمقتضى الحال والشأن، لسبب الحس الذى رسم تلك الصور على جوهر النفس فقبلتها وقلدتها، وقد تحققت أن الدواء

النافع والعلاج الشافي هو قهر النفس على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والافتداء بالأئمة الهداة الراشدين المرشدين، حتى أنال بفضل الله تعالى ما نالوه من العزة والمجد في الدنيا، والفوز بمعية رسول الله ﷺ وجواره يوم القيامة، وهذا الدواء ركه الحكيم الخبير سبحانه وأوصله إلينا على يد الصادق الأمين ﷺ.

وقد استعمله أصحابه صلوات الله عليه وعليهم ومن تبعهم بإحسان، فنالوا العزة والمجد والسؤدد في الدنيا، وبهم انمحت عروش الظلم وتيجان العدوان، وزالت كل عظمة وكبرياء في الأرض لغير الله، وصارت الكرامة والمهابة لعبيد الله الأتقياء، حتى صار الإنسان أخاً للإنسان، وصار أهل المقامات العالية هم الأتقياء.

وشىء أحبه لنفسى يجب على أن أحبه لخواص المؤمنين، فإنهم في الحقيقة نفسى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات ١٠، وكما قال جل شأنه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الحجرات ١١، فجعل المؤمن أخاً لى، ولمزى إياه لمزاً لنفسى، لذلك وجب على أن أسعى لخدمة إخوتى المؤمنين، وبعد أن كتبت أكثر من أربعين كتاباً ورسالة في بيان سبل الخير والحث على السير عليها، تاقنت نفسى أن أنواع الدواء بما يناسب نيل الصفاء، وفي الإشارة ما يغنى اللبيب ويسر الحبيب.

الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

السياحة النفسانية

تجرد الخيال من كثافة الظلال وهو مرآة المحسوسات، فلقية الوهم بلا محيطات متألماً
عليلاً، فسأله الخيال قائلاً: صبراً جميلاً.

فقال الوهم: كيف الصبر؟ وقد حملت حملاً تنوء به أولو العصبه من القوة ولا حول لى به
ولا قوة، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله، أسأله أن يخلصنى ممن هجر الشرع وأباه، ثم قال:
اجلس أبين لك عنائى وأشرح لك دائى، عسى دواء يشفينى الله به، أو نور هدى يسكن
للإنسان فى قلبه. إن الإنسان جعلنى مرآة صماء بما لا يجدى من الأهواء، فيورد على من
السخافة معانياً ويجعلها قصداً وأمانياً، ولا طاقة لى على ما يورده، وهذا المحس يريد أن
أعبده، وقد أضع منى الأنفاس النفائس فى المفسد والوساوس، إما فى توهم عداوة من هو
أولى به من نفسه من والد وولد بهما يحظى بأنسه، وتارة يورد على حب من حبه إهلاك وقربه
ارتباك من خبيث ماكر أو غادر فاجر، وأشد من ذلك أن يورد على ما لا يليق بعظمة الله
سبحانه من تشبيه أو تمثيل ويطمع أن يدخل جناته، وقد سئمت الحياة لاشتغالى بما لم أخلق
له من المفسد والضلال وتوهم المنكر والمحال، وقد أصبح الناس أشبه بالنسناس إلا قليلاً
ممن عصمهم الله بهداه، فأقبلوا عليه سبحانه لتليل رضاه.

وعند ذلك أن الخيال وناح وتنفس الصعداء وصاح، وبما أكنه ضميره أباح: أنت يا وهم
سئمت الحياة وأعمالك فى المعنويات، وهى ليست بشىء فى جانب ما أنا فيه من
المحسوسات، وأنا أحرى بأن أقول: أضعونى وأى فتى أضعوا، فى تمثيل ما ينالون من
البغيه والكرامات، أو ما يحظون به من الوظائف والعطيات، فهلم بنا إلى العقل فإنه ذو روية
وفضل، لنعرض عليه المحال فنهتدى إلى أحسن المأل.

الخيال والوهم: السلام عليك أيها العقل الذى يعقل الإنسان عن الدنيا ويمنعه عن
الخطايا.

يجيبها العقل: وعليكما السلام أيها الوهم والخيال، بالحفاوة والإجلال، قصا على أمركما
نجح الله قصدكما.

فتقدم الخيال خاضعاً وشرح حاله ملمعاً: أيها العقل أنت البرزخ بيننا وبين النفس، وأنت الحاكم المسيطر على الحس، وقد أصبح الناس شجراً لا ثمر فيه، بل صار كله شوكةً عالية ودانيه، وأنت ملجأ المظلومين بعد الله تعالى، وبك يعذب من كفر ويثبت من والى.

أجابها العقل على البديهة: إن أعمال الناس صارت كريهة، وإني قد فارقتهم منذ خبرتهم، لأنهم قد استعبدتهم الحس فألقوا الفسوق والرجس، فتراهم بين دنان في حان أو فسوق وطغيان، أو في غيبة ونميمة وميسراً، أو في قطيعة الرحم وعقوق بالشر منذر، أو في خيانة وغدر لمن ائتمنهم، وإهانة وكذب على من اصطنعهم، كل ذلك لأنى فارقتهم، ومن أعمالهم جانبهم إلا قليلاً من اجتباه الله بسابق حسناه.

أجاب الوهم: يا عقل أنت تفارقهم لأنك جوهر منفصل عنهم ومتصل بهم، وأما أنا والخيال فنحن متصلان بهم بلا انفصال، ورسول الله ﷺ يقول: (الراحمون يرحمهم الرحمن).

لديها رق العقل لهما وعطف عليهما وتلطف في المقال ومال إليهما، وقال: هلم بنا نرفع الأمر إلى الله تعالى ثم إلى أولى الأمر منا، عسى أن يدفع بقوته وقدرته الشر عنا.

قال الراوى: فلما أن سمعت حديثهم المؤثر، وبيانهم الذى هو لضميرهم مفسر، أنست واستأذنت عليهم، فسمحوا لى بالدخول عليهم، فأوجس الوهم والخيال خيفة منى وأعرضا عنى، وأقبل العقل على باشاً واحتفل بى هاشاً، قائلاً:

ألك حاجة إلى؟ أو تطالبنى بحق على؟

فتبسمت تبسم الغريب متصفاً بصفة الحبيب، وقلت: إنى سمعت نجواكم، وفهمت معناكم، وإنى محب للصالح والصلاح ونيل بنى جنسى الخير والفلاح، ومعكم ولكم كائناً ما كان مسلككم. فأقبل الوهم والخيال أنسين، وبما رأياه منى مطمئنين، فأسرعت فى القول: الرأى ما رآه العقل، فأسرعوا إلى رفع القضية للعدل، اكتبوا ما عليكم أملى، إن صلاح بنى الإنسان سؤلى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد فمن الإنسان المتجرد عن بشريته المتخلى عن حيوانيته، المستعيز بالله من نار إبليسيته، ثم من العقل والوهم والخيال إلى العدل عمم الله به النفع.

إنا نتظلم إلى الله تعالى، ثم إليك مما نحن فيه من ظلم الظالمين، وهم إبليس والحس وجميع قوى النفس، والسلام عليك وعلى من معك.

يرفعها الإنسان إلى العدل في نزل الأمان، فيطلب العقل ويستفسر منه، ويأمر الكاتب أن يتلقى عنه، ويأمر الأعوان أن يحضروا الخصوم بلا توان، فيتملق الوهم والخيال للعقل أن يستر عن خصومها هذا الحال، لأنهما مقهوران ويخشيان الوبال، فيأذن لهما العقل بالانصراف خوفاً عليهما من الإتلاف، ثم يتلطف للإنسان برفق وحنان: أن انصرف بأمان.

تحضر الخصوم في الوقت المعلوم، وتُشكل المحكمة الكبرى، معلنة البشرية.



افتتاح المحكمة

باسم الحكم العدل تُفتتح المحكمة.

ينادى كاتب الجلسة أمين: العقل.

العقل يلبى.

يكلم رئيس المحكمة (العدل)، العقل: ما اسمك؟

العقل

اسمى ياسيدى العقل بن القسط.

رئيس المحكمة

قد قبلت القضية شكلاً، فتكلم فى موضوعها.

العقل

أنت يا عدلُ رحمةُ الرحمن
جئتُ مستنصراً فكن لى مجيراً
من هوى قد محا الفضائل عنى
جئتُ مستصرخاً أغثنى فأنى
صاغك الله من هدى وحنان
من حظوظ النفوس من شيطان
قادنى للعناء بل للهوان
منك أرجو سلامتى وأمانى

مولاي أنفاسك نفائس، وكل مظلوم فى أوقاتك ينافس، ولا تستبين لمولاي المحجة، إلا إذا
وسع لى صدره لأقيم المحجة، والمضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه حتى يموت
أو يفوز بمطلوبه.

رئيس المحكمة

مرحباً بالعقل أهلاً
أنت يا عقل ضياء
قد نصرت ابن ووضح
قد وصلت حمى وأصلاً
قد منحت اليوم فضلاً
نوعها وضعاً وشكلاً

العقل

دمت للأخيار مولى ما فتى زكى وصلی
أمة مثلك فيها تمنح العليا وتولى
أنت يا عدل حياة بالمعانى أنت أولى

مولای شرح الله صدرك فقد شرحت صدر المظلوم بنظمك، وأحييته بروح عطفك، ظلامتى يا مولای فوق ظلم الظالمين، وكيف لا وخصومى يجذبوننى إلى حضيض الأسفلين، بعد أن كنت فى عليين، كنت يا مولای فى مسرات حياتى الروحانية وملاذ أفراحى العقلية، أسبح فى فسيح العز والفخار، وأتنزه فى رياض البهجة والأنوار، جذبتنى خصومى بمقتضيات كثافتها، وبواعث طبعها ودواعى ميولها، إلى سجن الذل للشهوة الحيوانية، والخنوع تحت سلطان المحظوظ البهيمية، حتى حملت ما تنوء به العصبه أولو القوة.

رئيس المحكمة

صه يا عقل، فقد قال سيد المرسلين ﷺ: (لا يقضى على غائب ولا له)، فمن خصومك؟

العقل

خصومى يا مولای النفس السبعية والنفس الشهوانية وأنصارها والجسم والحس.

(الرئيس يأمر الحاجب بندائها، ينادى الحاجب، تحضر النفوس وتبتدىء فى الجلوس
فيأمرهم الرئيس بالقيام)، قائلاً:

أنا العدل ويلزم لمقتضى المساواة، ثم يتوجه إليهم، قائلاً:

لم قعدتم وخصمكم واقف؟

النفس السبعية

لا نقف وجلوسنا هو العدل والمساواة. وجلوسك وكل الحاضرين بعين رأسى أراه.

رئيس المحكمة

أنتم مطلوبون للقضاء ولا يجلس هنا إلا البراء، فإن ظهرت براءتكم صحت كرامتكم، قفوا.

النفس السبعية

لا نقف حتى تثبت لك إدانتنا، والخبر يحتمل الصدق والكذب فاحفظ كرامتنا، وإذا أهنت أهل الشرف بالدعوى عمت البلوى.

رئيس المحكمة يأمر بوقوفهم رغم أنوفهم، يحضر الأعوان.

النفس السبعية

اسمح لي أن أسألك أيها الرئيس كما تسألني فإنك جلست لتنصف الفرد من الفرد، غيوراً على رفع المظالم، فمن ينصفنا منك إن قيل أنك ظالم؟

رئيس المحكمة

بيني ما تحبين أيتها النفس السبعية، فأنا العدل رحمة بالبرية.

النفس السبعية

الرحمة يا مولاي فوق العدل، والعدل وسط بين الرحمة والجور، أنا يا مولاي لا خصم لي يخاصمني، ولا ظلامة لي على أحد بها يطالبني، وهذا الواقف الذي يدعى أنه خصمي، ليس من جنسى بل ولا من رسمى، وإنى لا أعرف له حقيقة حتى أكون له صديقة، وقد اختلف العلماء الراسخون في تعريفه ووظيفته، وهل هو عرض أم جوهر في فطرته، وإنا لنسمع به ولا نراه، يمدح به أهل الفضائل ويذم بفقده أهل الرذائل، وقد أثبتته التواتر ونفاه المحس، وهو كالشيطان الذى ينسب إليه كل قبيح ولا يظهر لنا صريح، فاحفظ لنا أوراق تلك القضية، وأرحنا ممن يريد أن يجرمنا من ملاذنا الحيوانية، حتى نعيش في بحبوحة الإباحة وصفاء اللذة

والساحة.

يا عدل إن مسراتى وأفراحي
يا عدل يعقلنى عقلى ويقهرنى
تلك الملذات تدعونى وأتركها
لا يترك المرء لذات تحيط به
يا عدل هذا عدوى فانتقم كرمأ
أو لا فمرنى الأكمه وأطعنه
ناشدتك الله هل ترضيك مظلمتى
أن لا يرى فى صفائى لائم لاحى
حتى أكون فلا ميت ولا صاحى
للعقل يرجو بذا إفساد إصلاحى
هل ترضى أن أرى الخسران أرباحى
منه ترح كل سلطان وفلاح
حتى أمتع فى الإطلاق بالراح
بعدى عن الغيد عن خدن وإقداح

رئيس المحكمة يأمر بهدنة دقائق، ولديها يعلو ضحك أهل الخلاعة وبكاء أهل العقل.



افتتاح المحكمة

باسم الحكم العدل تُفتتح المحكمة.

رئيس المحكمة يُنادى الخصوم.

الحاجب أمين ينادى:

يا خصوم قضية الصلح الكبرى.

فيدخل العقل ومعه الفكر والروية والنطق، ووراءهم العفة والشجاعة والكرم والعدالة، وورائهم أنصار الفضائل وحراس الشرائع، وتدخل النفس السبعية ومعها النفس الشهوانية وورائهما التهور والشهوة والمجن والبخل والغدر والحس والضيم والقسوة والتيه والحماقة.

رئيس المحكمة ينادى بصوت عال:

فليقف الخصوم ويجلس الزوار، فلا يجلس أحد.

رئيس المحكمة ينادى النفس السبعية، فتلبى.

رئيس المحكمة

من أنت؟

النفس السبعية

أنا النفس السبعية، وبى الإقدام والجراً والمنعة ودفع الظلم، ونيل الخيرات لمن تحت رعايتي.

كلا ولم يكبح شجاع ضده
شهواته، لولاي يفقد جده
تولى الفتى لذاته ومراده

لولاي لم يبلغ مرید قصده
بى يبلغ الإنسان ما يرجوه من
لى جرأة وحمية، لى غيرة

هل أمة سادت بغير تصرفي
سفك الدماء وهتك كل مصونة
مجد الملوك علوهم وفخارهم
يا عدل فكر لا تمل لمدلس

والفرد أوليه بعزمي رشده
من جرأتى كالسيف يبدى حده
منى، وبى منح الملك رغبه
يخفى المعالى ثم يبدى كيده

رئيس المحكمة

خرجت أيتها النفس السبعية، عن موضوع القضية وركبت متن حمية الجاهلية، وصدق الله العظيم، قال تعالى: ﴿صُمُّبِكُمْ عُنَىٰ فِهْمًا لَا يَبْقُونَ﴾ البقرة ١٧١.

تقدمت النفس البهيمية متكلمة، فأسكتها الرئيس.

رئيس المحكمة

من أنت وما صفتك في موضوعنا هذا؟

النفس البهيمية

أنا يا سيدي النفس البهيمية، وظلامتي بينة جليلة، لأنى يا سيدي لولا الإطلاق لضاق بى الخناق، ولولا الإباحة لدامت لى النياحة، وإنى يا سيدي قوية شهوتى ضعيفة نحيزتى، مجاهدتى فى شهى الطعام والشراب، وبهى الثياب والحجاب، للسكون والدعة والزينة ولين الفراش والدثار، للنوم والإيثار، وما حركتى وطعامى، وجولاتى فى ميدانى إلا مع خدن أداعبه أو ظبى ألابعبه، وناصرى على آمالى والقائم لى بأعمالى هى النفس السبعية، فإذا تسلط عليها العقل كانت البلية، فرحماك يا عدل بضعيفة شهواتها قاهرة، ومضطرة لذاتها فاخرة.

يهم الفكر بالكلام، فيسكنه الرئيس.

رئيس المحكمة

من أنت وما صفتك؟

الفكر

أنا الفكر وزير سلطان تلك المملكة الفردية، والتي منها يتكون مجتمع المملكة الإنسانية، وبقدر الفرد يكون المجتمع، وصفتى يا مولاي أنى وزير داخلية الملك، فتعرض على شئون الداخلية، فأميز بين نافعها وضارها بالحجة الجليلة، وأعرضها على مولاي لينفذ ما به حفظ مملكته من المضرات وما يجلب لها به الخيرات، فإذا تقوى السلطان بأعوانه وقهر أعداءه بخلافه، وقام كل فرد من المجتمع عاملاً أو مقلداً عليهم نور المجد لمع، ولا غرو فإن مولاي العدل، شفى الله به الأفراد من الأمراض والمجتمع من الأعراض، يعلم مقدار الخير الذى يناله بالفعل المجتمع والفرد وما يفوزون به من جمال المواهب وعلو المجد، كما أن مولاي أيد الله به الحق وأهله، يعلم أن النفس السبعية إذا تسلطت على الفرد تحقق للعالم جهله وأنكروا فعله، فإذا عمل بعمله المجتمع أو قلده أضله وأفسده.

والسعادة يا مولاي نيل وإدراك ما هو خير فى الحقيقة ونفس الأمر، لأن للإنسان سعادة ينشدها العقلاء ويأبأها الأغبياء، فسعادة الإنسان بنيل الفضائل التى يكون بها شبيهاً بالملائكة الروحانيين، متجماً بجمال الأنبياء والمرسلين، مما تبتهج به الأرواح الملكية والنفوس المطهرة الزكية، وليست السعادة يا مولاي مأكلاً شهياً وملبس بهى وملامسة النساء على فراش وطى. هذه يا مولاي سعادة البهائم السائمة، بل وليست السعادة يا مولاي افتراس السباع للأجسام، ولا ادخار المال الحرام، ولا غدر لأهل الذمام، ولا ختل للعقول كختل الثعالب أو اللثام، فإن السبع يفترس ظلماً والنملة تدخر غنماً والفار يسرق غرماً والديك يأتى الدجاجة رغباً، هذه يا مولاي سعادة الوحوش النافرة والسباع الكاسرة، وكيف يتشبه الإنسان بالبهائم ويقول إنى إنسان؟! نعم إنه طويل القامة عريض الأظفار ضاحك بالطبع، ولكنه لا يكون بذلك إنساناً، وكيف لا... والله يقول: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان ٤٤، مولاي إنى لأجول جولة فى هذا الكون فأرى ما فيه مخلوقاً للإنسان، وتعمى عنه عين الإنسان مع وضوح البيان.

مولاي أنجد من يد الظلام
أحيى الفضيلة بالعدالة وانتصر
النفس يا مولاي شيطان لها
تعدو لتلقى بالفضائل كلها
كيف التخلص من ظلامتها التي
أنت الشفاء فداونا بعذابها
أو سجنها حتى تقاد ذليلة
لا ترتقى أمم تكون نفوسهم
حتى يكون العقل سلطان على
كم أهلكت تلك النفوس ممالكاً
ساسوا وسادوا، دمرتهم أنفس
مولاي أدرك بالعدالة واشفين
حتى نسود سيادة عقلية

نوراً يضيء بغير في ظلام
من غادر يبدو بوصف إمام
ميل إلى الإضلال و الإعدام
في هوة أو في سحيق رغام
أودت بمجتمع إلى الأسقام
فأمر بصلب أو بضرب حسام
للعقل في طوع بعقد نظام
أمارة بالسوء والآثام
تلك النفوس بصولة الأقدام
نالوا العلا ومراتب الأعظام
لم تحتفل بالعقل والأفهام
من داء أنفسنا وذل ملام
نرقى بنور الشرع كل مقام

أيها العدل، أنت لطلب الخير الإمام وبالاقتداء بك تبلغ الأمم أرقى مقام. وأنت المصباح
والشريعة زيتك والأساس والدين بيتك، بك تظهر أنوار الشرائع فيعمل بها، وتلوح حكمتها
فيرغب فيها، ولولاك ما اتضحت شريعة لعامل ولا نيلت بغية لآمل، فاعلم يا مولاي أن
الإنسان مثوى التركيب، فهو مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وعقل بينها
رقيب، وهما يا مولاي جوهران متضادان في الصفات متباينان في الغايات، مشتركان في
الأفعال العارضة وفي الصفات بلا مفاوضة، فهو بمقتضى جسده الجسماني ميال بطبعه
الحيواني إلى البقاء في الحياة الدنيا، وكانت معصية آدم في الجنة لتلك البغية، فخلوده في الدنيا
متمناه. فيرتكب لأجل ذلك من الرذائل ما لا يرضاه الله، هذا يا مولاي مطلب الجسم الدني
وقصد الإنسان الغوى، أما الروح يا مولاي فهو من أجلها طالب للدار الآخرة، وبغيته
الوصول إليها بالقلب اليقظ والعين الساهرة، ولذلك ترى أكثر شئون الإنسان مثوية
متابعة بين حيوانية وروحانية، فهو بين حياة ومات ونوم ويقظة وعلم وجهالات وتذكر

وغفلة وعقل وحماسة وفجور وعفة وبخل وسخاء وجبن وشجاعة وألم ولذة، وتراه يا مولاي متردداً بين صداقة وعداوة وذكاء وغباوة وفقر وغنى وبسط وقبض وخوف ورجاء وصدق وافتراء وهرم وشباب فمعصية ومتاب وخطأ وصواب وحق وباطل وقبح وحسن، جمع الله فيه الأضداد، وتفضل عليه بخير الإمداد، أسجد له ملائكته لما خلقه فيه من العجائب، وحير فيه الحجا لما أودع فيه من الغرائب، فتراه بين راق يتكلم في رقيه مع الله شفاهاً، وبين هاو إلى حضيض الأسفلين سفاهاً، مولاي كل تلك الصفات التي عدتها لا تنسب إلى الجسد مجرداً، ولا إلى النور الروحاني مفرداً.

رئيس المحكمة

هل استوفيت موضوع القضية؟

الفكر

مولاي هذا ما يختص بي بصفتي وزير الملك الساعى في خير مملكته، المسارع إلى سعادة كل أفراد رعيته، ومعى وزراء آخرون لكل منهم قسط في القضية.

رئيس المحكمة

وما هى طلباتك؟

الفكر

طلباتى يا مولاي رفعها الوزير الأول في شكل القضية، وهو أولى بأن يبينها للعدل أيده الله.

رئيس المحكمة

من هو الوزير الأول؟

الفكر

الملك يا مولاي هو النفس الناطقة الروحانية، والوزير الأول هو العقل الذي رفع شكل القضية.

التهور يصيح قائلاً:

عقل إيه وعدل إيه، ما لنا وما لهم لاحنا عاوزين عقل ولا عدل، إحنا جمال رايجين يعقلونه، وإلا سكر يوزعونه، اللي نعمله نعمله واللى يعارضنا نعارضه، واللى يغلب يبقى عمله حق وعدل، أنا والله يا خويا أقول زى الجماعة المنتحونين منا، يقولوا:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً
وإن ما عجبهمش الكلام، أقول أجعص منه على رأى من قال:

أرى الناس من دانا هو هان عندهم ومن أكرمه عزة النفس أكرما

دا انا جدع على ذوقك واعرف كلام كثير، هم نسوا الشاعر اللي يقول:

فاز بالذات كل مجازف ومات بالحسرات من يدر العواقب

الجبين يقوم صائحاً في وجه التهور قائلاً: أنت يا تهور حتودينا في داهية، أنت نسيت الشعر اللي يقولوا فيه:

ودارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في أرضهم

إحنا نعمل عمل الثعالب ونعيش عيشة الملوك، إحنا قصدنا إيه، نملاً بطننا من الطعام الطيب والشراب العتيق، ونقوم نلاعب النسوان ونفسد الجيران، وان كان حلال كلناه وان كان حرام كلناه مَشَى بينا يا عم مَشَى، العقل ده مش حته حبل يربطوا بها رجلين البهائم، والعدل دا أيه، مش حجرة يوزونوا بها التبن، وقسط يكيلوا به الجاز زى ما بنعمل في بلدنا،

موش بيقولوا: إوزن التبني بالعدل وكيال الجواز بالعدل، واعقل الجمل أحسن ينفر، هو احنا بهائم والا احنا تبني.

رئيس المحكمة

الأعوان يحفظون النظام.

النفس السبعية وأعوانها تهيض، النفس السبعية وأعوانها هيصة بقر الوحش، يأمر الرئيس بوقوف المحكمة وسجن النفس السبعية ومن معها ٢٤ ساعة، تنتهي هذه الجلسة.

رئيس الشرطة

هلموا أيها السوقة إلى الدار العتيقة، فإننا الآخذون بالنواصي أهل الغوغاء والمعاصي.

التهور

حسبك لقد جهلت من تخاطب أنا التهور المشهور بالمعاطب، ولي الوقائع المشهورة في أمكنة اللهو والملاعب، كم لي من وقائع مشهورة وأوراق بالمشاكل مسطورة، ولي جنود من كل عبقرى مارد وفدائي شارد، أنا أستاذ الغشاء نخبط خبط العشواء، فيإليك عنى وإلا نلت ما تكره منى.

الجبني يقبل يد رئيس الشرطة قائلاً:

لا تؤاخذ هذا الطائش، فإنه في الجنون عائش وارحمنا ولا تنتقم منا.

الغدري يقول لرئيس الشرطة:

امشى أمامنا دلنا على المكان ونمشي وراءك في أمان، وأما أنتم فاسمعوا أمره واتبعوا سيره.

يتساهل رئيس الشرطة ويمشى أمامهم بانتظام، وهم يجرون وراءه بغير احتشام.

الغدر يقول مخادعاً:

هذا مأمور لا يخالف الأمر، وقد أبان لنا العذر.

(وقد أخفى عصا ضرب بها رئيس الشرطة خارج باب المحكمة).

(الجميع فروا في فجاج تلك الصحارى طولاً وعرضاً).

الغدر يرتجز قائلاً:

يا عقل كم لى غدرة أبديها تهوى بأهل العقل فى باديهها
كم مرة أرديت حبراً ناسكاً فى هوة الفحشاء لا يدريها
إنى فدائى الحظوظ ولذتى فى أن أنيل النفس ما يرضيها
العدل عندى أن أنال مسرتى قهراً وغدراً حيث لا أخفيها
ماذا يريد العقل منى هل يرى تركى حظوظى غاية يرجوها
لا أترك الشهوات إلا مكرهاً فلتبتهج نفسى بما هو فيها

رئيس الشرطة يصيح على الجند:

أدركوا الأعداء وأوقعوا بهم البلاء، فإن نجاتهم مضرة والقبض عليهم مسرة.

الضيم يقول لرئيس الشرطة:

أيها الرئيس اقبض على هذا الغدر التعس، فإنه عدو ماكر وغشيم شاطر، وأنا أطوع لك
من ظلك وأتبع لك من نعتك.

رئيس الشرطة يقود الجميع إلى دار التحفظ عليهم.



يفتح العدل الجلسة الثانية، فتستأذن الروية قائلة:

الروية

مولاي، إن الأمر ما رفع إليك إلا بعد طول المفاوضة وبذل ما في الوسع من المعاوضة، وتحمل فادح المعارضة، لعلمنا يا مولاي أن النفوس السبعية وأتباعها بها ننال مُنانا، ونحن لا نحب عدم تلك النفوس، ولكن نحب تزكيتها حتى تُرضى مبدعها الملك القدوس، ولو أن تلك النفوس تزكت من رجسها ونجاستها لفازت بمسراتها الباقية في دار كرامتها.

مولاي، إن مبدع السموات والأرض، وواضع قوانين أحكامه للسنة والفرض حكيم قادر، لم يخلق شيئاً عبثاً، لأنه جلت قدرته وتقدست عن النقصان حكمته خلق الإنسان مركباً من نفس وجسم وحس، وأهله لأن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر، إن زكت النفوس وعلى تزكيتها قدر، وإن أهمل تزكيتها ففي الدرك الأسفل من النار، إن مال إلى عاجل حظه وسار، مولاي تعلم أن الإنسان يقربه الله إليه إذا منحه سبحانه كما لا فيصير أنفع لبنى جنسه من الشمس حالاً ومالاً، وينحط بإهمال نفسه حتى يصير أضر عليها من الشيطان قولاً ومن إبليس فعلاً. فاحلم يا مولاي في هذه القضية حلم من يريد لأهله السعادة الأبدية، فإن المقصد يا مولاي نيل الخير في الدنيا والآخرة، والتنعم بالمسرات الفاخرة.

رئيس المحكمة يأمر بجلسة سرية، ثم يتشاور مع أعضائه قائلاً:

يا أعضاء هذا الجسد المبارك، العاملين لخير المجتمع الإسلامي الذي بخيره يسعد جميع المجتمع الإنساني، وكيف لا... والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ به سعادة العالم أجمع، حتى يصبح الظلم ليس له في العالم مطلع، وهذه القضية التي نحن ننظر فيها ونفحصها ليظهر خافيها، ميزاب هذا الخير العظيم، إن وفقنا للصواب في العمل، ومعراج الوصول إلى دار السلام، إن بلغنا بمعونة الله فيها الأمل، وكيف لا... وأس السعادة إصلاح الفرد جسماً وعقلاً وقولاً وفعلاً، وبإصلاحه يصلح المجتمع المنزلي فالقروي فالمدني، وأنتم أعوان الفضيلة وأنصار العدالة، فأعينوني بثاقب أفكاركم وسديد آرائكم لنصلح بين الخصوم

ونزِيل الخِلاف المذموم.

رئيس المحكمة

باسم الحكم العدل نفتح الجلسة العلنية، وعلى كل فرد أن يبين ما يهيمه في هذه القضية.

القسط

ليسمح لي مولاي أن أبدى ما ورد على في هذا الشأن.

رئيس المحكمة

تكلم.

القسط

مولاي يعلم أن الإنسان جسم ونفس وحس، والجسم يا مولاي أيديك الله بالسداد جوهر جسماني ذو طعم ولون ورائحة وأبعاد، وحركة وسكون وخشونة ولين ورخاوة وصلابة، مكون من أخلاط متضادة وطبائع عن الترقى صادة، وتلك الأخلاط هي البلغم والمرة السوداء والدم والمرة الصفراء. وتلك الأمزجة مكونة من أركان الوجود وهي: الماء والهواء والتراب والنار، وأشار إلى ذلك القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الرحمن ١٤، يدل على أن فيه النار، لأن الفخار ما أحرق من الطين، فالجسم يا مولاي متباين الأجزاء فهو متغير متحول منفسد، وإنما جماله الحيوي وبهاؤه الإنساني إذا اتحد بالنفس التي بها الحياة، وبالحس الذي به نيل ما يتمناه، فإذا فارقت النفس فقد الحياة والحس. أما النفس يا مولاي فأعنى بها النفس الروحانية الناطقة التي إذا صارت كلمتها نافذة صار الإنسان فوق الملك قدراً، لأن الملائكة تتولى خدمته في فردوس الله علناً وسراً، وليس المراد بها النطق ولكنهم تجوزوا فسموا الشيء باسم لازمه، تلك النفس يا مولاي جوهرة ملكوتية وحقيقة روحانية، جسم روحاني حي بحياة من الله تعالى دائمة، وهي بما أودعه الله فيها من

الصفاء للتعاليم قابلة، وبما أودعه الله فيها من القوة تستعمل الأجسام الحيوانية، وتتممها إلى وقت قدره الله تعالى ثم تفارقها إلى عالمها، إما بربح ونعيم باق أو بندامة وعذاب لا يطاق، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^{الأعراف}

٣٠٠٢٩

مولاي تعلم أن الله تعالى قد ذم قوماً بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَلَّا نَبْغِ بِهُمْ أَضَلُّ﴾^{الأعراف ١٧٩}، تعلم يا مولاي أن الله تعالى ما شنع عليهم ونسبهم للقبیح بهذا البيان الجلى الصريح لأنهم أهملوا شأن دنياهم وأجسامهم، لا... بل لأنهم أهملوا تزكية نفوسهم ولم يتفكروا في أمر آخرتهم ومعادهم، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^{الروم ٧}، ويقول سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^{النحل ٢٢}.

ويعلم مولاي - نفع الله به نفعاً يعم المجتمع الإسلامى - أن أعمال الإنسان وقتية محصورة في النفس والجسم، فإن أعماله يا مولاي اثنان: مجلس الأكل والشرب واللهو واللعب للذات الجسمانية من لحوم الحيوانات ونباتات الأرض ومعادنها لقوام هذا الجسد المتغير إلى الفساد، ومجلس آخر للعلم والحكمة والعمل بالعلم والقيام بما فرض الله تعالى وسن رسول الله ﷺ، وسماع المعانى العلية في العبارات المنظومة أو المنثورة اللفظية، لتتغذى النفوس بقوتها، كما تتلذذ الأجسام بغذائها.

والروح يا مولاي باقية دائم سرورها، باق في الدار الآخرة حبورها، إذا اتحد معها الجسم وأعانها ودبرته كما أمر الله تعالى فإنه يسعد معها في النعيم الأبدى، كما قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^{الزخرف ٧١}، أما قنية الإنسان فهي كأعماله متضادة متباينة، فهي إما جسمانية كالمال ومتاع الدنيا، أو نفسانية كالعلم والحكمة والعبادة، فالمال ومتاع الدنيا قنية الجسم، والعلم والحكمة والعبادة قنية الروح.

وكما أن الإنسان بالمال يحصل لذاته وشهواته الجسمانية، فهو كذلك بالعلم والحكمة

والعبادة يحصل معية الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في معية رب العالمين، ولا يفوز الجسم بهذا الروح والريحان إلا باتحاده مع الروح اتحاداً يجعله وسطاً بين الملائكة والحيوان، فيحفظ حيوانيته بتحصيل ما أباحه الله له، ويحفظ نفسه الطاهرة الزكية بالمسارعة إلى القيام بما فرضه الله عليه ورغبه فيه رسول الله ﷺ، وبذلك يسعد السعادتين ويفوز بالحسنين، وتشرف روحه على قدس العزة والجبروت، ويتنعم جسمه في فردوس الله الأعلى محفوظاً بعوالم الملكوت، بذلك يا مولاي يجب علينا أن نبذل قصارى ما في الوسع ليحصل للجسم والحس والنفس الخير والنفع، فإنه لا كمال للنفس إلا بالجسم ولا كمال للجسم إلا بالنفس، والعقل هو البرزخ بينهما فلا تقوى عوامل النفس بشوقها إلى مجانسها فتفسد الجسم، ولا تقوى مقتضيات الجسم بشوقه إلى مجانسه فيطفئ نور النفس، كما قال تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن ٢٠، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة ١٤٣، وكما قال ﷺ: (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)، مشيراً إلى النفس لتسلك بالجسم على قدره، وكما قال ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: ومن أبي يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)، مشيراً إلى الجسم إلى أن يسلك بمقدار النفس.

فطر النفوس تقودها لعناها	والله بالشرع الشريف هداها
لولا الشريعة بينت سبل الهدى	ضلت نفوس في سحيق هواها
نفس تميل إلى الحظوظ بطبعها	والقهر و الإفساد كل مناها
والجسم آلات لها تسعى به	ويريدها الحس الذي أرداها
تسعى لتقوية الجسوم وكم رأت	موتى تشيع صباحها وضحاها
ترجو الخلود ولا خلود وتشتهى	نيل الحظوظ وفي الحظوظ بلاها
تلك القبور لذي البصيرة عبرة	يغنى بها عن غادة وحلاها
وى والقصور مع القبور وكم ترى	من نفسه بحظوظه دساها
تلك القصور من التراب مشادة	بئس الصنيع صنيع من أعلاها
لو شام عاقبة الأمور لفر من	تلك القصور ونفسه زكاها

رئيس المحكمة

يا قسط عبرت فبينت، وصورت لنا الحقيقة فأظهرت، وذكرت أن الإنسان نفس وجسم وحس، وكشفت لنا القناع عن النفس والجسم، فاشرح لنا حقيقة الحس.

القسط

الحس يا مولاي بريد المملكة الإنسانية، وهو السمع والبصر والذوق والشم واللمس، وله رئيس، فالبصر يا مولاي للألوان والأشكال والأبعاد، والشم للروائح، والسمع للأصوات والنعيمات، والذوق للطعام، واللمس للحرارة والبرودة والصلابة والرطوبة والخشونة والنعومة وتقريب المقادير، وله مدير للمعقولات ورئيس للمحسوسات، فمدير المعقولات الوهم، ورئيس المحسوسات الخيال، ومركزها الرأس والوجه، إلا اللمس فإنه منتشر في سائر البدن، وانتشاره لحكمة هي الرحمة بالجسم الإنساني، فإنه إذا فقد اللمس وجلس على نار أو على ثلج أو على مفرق للأعضاء هلك.

يا مولاي إن مبدع الكائنات جعل الحس لحفظ الجسد من الآفات، ولدفع المضرات وجلب الخيرات، أضرب لمولاي مثلاً تستبين به الحقيقة: إذا جلس الإنسان ليأكل، سبقت العين اليد إلى الطعام، فإن قبلته شكلاً ولوناً أذنت اليد بنقله، فإن تناولته اليد سبق الشم إليه، فإن قبله رائحة أمر اليد بدنوه من الشفتين، فإذا قبلته توسطاً في الحرارة والبرودة سمحت بدخوله إلى اللسان، فإن قبله طعماً رده إلى الأسنان، فإن أمكنها طحنه طحنته وسمحت للسان بتوصيله للمريء فيوصله إلى المعدة، فإن كان صالحاً للبقاء فيها قبلته وقامت بوظيفتها، وإلا ردت وأخرجته، وأهل الجهالة يا مولاي يقهرون المعدة على بقاء الطعام فيها بتعاطي ما يبطل عملها الطبيعي حتى تقبل ما تكره بشرب الدخان أو بأكل التوابل أو الأملاح، فتقبل الطعام مكرهه وتضعف عن القيام بوظيفتها، فقد يتغير فيها فيصير حامضاً أو عفصاً أو مراً أو حلواً بحسب الغالب عليه، فتحصل الأمراض والأوجاع.

هذا كله يا مولاي لمخالفة العقل والعلم، وترك العمل بالوصايا الشرعية وإهمال البحث

عن حكمة إيجاد تلك الأشياء والنظر في خواصها، هذه بعض وظائف الحس.

والحس هذا يا مولاي، داعية الشرور إذا لم يتطهر، وكما أنه يريد النفس فهو كذلك يريد الشيطان، فإذا وفق الله مولاي فأصلح بين تلك القوى المتضادة والأنواع المختلفة، مال كل فرد من المسلمين إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفاز المجتمع الإسلامى بما فاز به سلفه الصالح، وعم الخير والرشاد بطاح الأرض والوهاد وسهولها والأنجاد.

رئيس المحكمة

بين السبيل إلى الوصول، وتحقق أن قولك مقبول، فأنت القسط وأنا العدل، ولولانا لم يتجمل أحد بالفضل.

القسط

السبيل يا مولاي أعزك الله رجوع كل قوة إلى الوسط، حتى يقوم كل بالواجب عليه بين الإفراط والتفريط، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان ٦٧، والطريق القريب أن تكشف لكل قوة سبيلها القويم وصراطها المستقيم، ونحيطها بسياج حتى لا تخرج إلى الطريق الأسفل ولا إلى الأعلى، ونعالج مرضها ونكبح جماح طاغيها، حتى يتوسط كل في رتبته، وتتعاون القوى جميعها على نيل إصلاحها وصلاحتها، والموصل إلى تلك الغاية القصوى والكمال الأعلى هو كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، فإن الإنسان إنما هو إنسان بعقله، والعقل لا يكون عقلاً إلا بالشرع، فإن العقل بدون الشرع يخدم الجسم لبلوغ كماله الجسماني، ولا يتمكن أن يخرج سياج الكائنات حتى يدرك سر الكمال الروحاني، وكيف لا والإنسان حيوان، فإذا ساعده العقل على حيوانيته تمكن بعقله وحيوانيته من أعمال لا تعملها السباع الكاسرة ولا الحيوانات النافرة ولا الشياطين الفاجرة، فيكون أضر من الحيوانات وأشر من الشيطان، حتى تشرق أنوار الشريعة عليه فيسارع إلى الكمالين، متوسطاً في الأمرين، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الأنعام ١٢٢، ميتاً أى لا حياة له روحانية، وليس المراد بالميت من لا حياة له حيوانية، وكل إنسان فقد الحياة الروحانية فهو

ميت في الحقيقة، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ﴾ الثورى ٥٢، فللشريعة روح تفيد الحياة الحقيقية التى بها الحياة السعيدة الباقية، وقال
تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء ٨٢، فالعقل من غير الشريعة كسلاح
قوى فى يد جرىء عبقرى، فاعتن يا مولاي بأن تجعل تلك القوى كلها سابحة فى جو
السعادة، راتعة فى بحبوحة الأمن والخير فى حصون الشريعة، وبذلك يا مولاي تكون قد
قمت للعالم أجمع بالخير المنشود لكل حى، وهذا هو الحق، ولمولاي أن يقبل أو يرد.

رئيس المحكمة

فصل لنا يا قسط ما أجملت، ووضح لنا ما أهتمت.

القسط

مولاي، إن تفصيل المجمل وتوضيح المبهم من وظيفة العلم، وسيادته عن يمينك، وهذا
مقامه الذى انفرد به وميدانه الذى يشاهد النور فيه بكوكبه، فأسأله يا مولاي يُجيبك وتبين منه
الحقيقة يقربك.

رئيس المحكمة

أيها العلم يا ماحى ظلمات الجهالة، وماحق جيوش الضلالة، ومصور الغيب للنفوس
بالرياضة أو الدروس، بك الحق يتضح لأهل العقول، وبك ينال كل من حصلك المأمول،
وأنت كما قال حكيم المسلمين وسيدهم بعد رسول الله ﷺ، أمير المؤمنين على بن أبى طالب
كرم الله وجهه: (العلم خير من المال: العلم يجرسك وأنت تحرس المال، المال ينقص بالنفقة
والعلم يزكو بالإنفاق، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر)، ما
التجأ إليك حائر إلا زالت حيرته ولا مضطر إلا نال بغيته، وبك يسود الفرد قومه وتسود
الأمة غيرها من الأمم، سعد من حصلك واهتدى بنورك، وفاز من عمل بك وتحصن بسورك.

يا علم يا كاشف الظلمات والكرب
أنت الضياء بك العلياء منزلة
كم أمة سعدت بالعلم وارتفعت
لولاك ما اتضحت سبل الهداة ولا
أقبل علينا بعطف منك يشملنا
الله أثنى على العلماء وفضلهم
أسعدت آلك من عجم ومن عرب
للمقبلين بحسن الجمد و الأدب
فازت بنيل المنى والمجد والأدب
نال امرؤ ما يرجيه من الأرب
حتى نفوز بنجح القصد في الطلب
فاقرأ مدائحهم في محكم الكتب

وكيف لا والله تعالى يقول: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَفْذُوا إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الرحمن ٣٣، والسلطان هو العلم، بدليل قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة ١١، فتقرب وتكلم تعز لدينا و تكرم.

العلم

ليبك أيها الراغب في البيان، المسارع لشهود الحقيقة في عيان:

أنا العلم إلا إن منزلتى العليا
أنا العلم نور في الوجود بأسره
تلوح جمالات الحقيقة جهرة
أنال لمن بذلوا النفوس وجاهدوا
أصور غيب الغيب للروح تنجلي
ومن خير رسل الله أوليت منة
تعالى عن الغر الذى يطلب الدنيا
أبين سبل الله مبدئى الرؤيا
وأفتح إن حققتنى أعيناً عميا
ليرقوا الملكوت السما فافهم الفتيا
حقائقه حتى ينال الفتى البغيا
من الله من يقبل ينل رتبة عليا

إنى أيها العدل أبين ولك الفضل، اعلم أيديك الله وإيانا بما أيد به أهل محبته، إن قضيتنا
التي لأجلها اجتمعنا، ومهمتنا التي فيها اختلفنا، هي الضالة المنشودة لأهل البصائر،
والغاية التي يسارع إليها كل ذى عزيمة ناظر، وإن التوفيق بين تلك القوى المتباينة متعذر
إلا بمعونة من الله جل وعلا، فإنه سبحانه وتعالى خلق النفوس وقهرها على فطرها، وهداها

النجدين من خيرها وشرها، وبين سبحانه طريق الرشد وطريق الغي، وأعد جزاءً حسناً لمن زكى نفسه وصفهاها، وعلى صراط الله المستقيم نهج بها فأنجاها، ثم جعل حدوداً زواجر، وعقوبات جوارب لمن دس نفسه وأهملها، وسلك مسالك أهل الغواية وتخيرها، وأمرنا بتنفيذ تلك الحدود ولو على أنفسنا، رحمة بنا أن تعمنا الخطيئة فتهلكنا، لأن من شهد الخطيئة فأقرها كان كمن عمل بها، وإنى وإن كنت مقصداً علياً، فإنى فى الحقيقة وسيلة لمن سلك مسلكاً مرضياً، فإن أنواعى ثلاثة: علم شرعى وضعى، وعلم رياضى عقلى، وعلم البحث والنظر فى حقائق الأشياء للوصول إلى المقام العلى. أما العلم الشرعى فموضوعه النفوس والدار الآخرة، وواضعه الله تعالى، والقرآن الكريم جمع ما لا بد للإنسان منه فى الدنيا والبرزخ والآخرة عقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملة، وكل تشريع لم يؤخذ من القرآن تصريحاً أو بالاستنباط منه ولو تلويحاً سبب فساد النفوس، واستبدال الإيناس بالبؤس، لأن العقل لا يمكنه أن يركب دواءً للنفوس اللقسة من أمراضها شافياً، ولا علاجاً للنفوس المعتلة من فساد أمزجتها كافياً، وكيف لا والعقل يجهل حقيقة النفوس، وصانع الصنعة أعلم بعلاجها، وأرحم بها منها بنفسها، والإنسان من حيث هو إنسان لا يمكنه أن يمنح الإنسان العطف والحنان والخوف والرجاء والتوبة والاستقامة والمعونة والاتحاد والمساواة إلا بما ينزله الله عليه، وما يمنحه إياه من النور حتى يقوى الحس ليصغى إلى علوم الغيب فيوصلها إلى النفس، وهى تنشرها على قواها مبينة مزاياها، وهى تبثها فى الآلات والأدوات، التى هى أعضاء الجسم العاملات، لأن الحس إذا لم يهتدى بنور الشريعة وأبصر بنور البصر واهتدى بالشمس والقمر، ضل السبيل القويم وخالف الصراط المستقيم، لأنه يرى الباطل فيسارع إلى عمله، ويحجب عن الآيات فيه فيخيّب فى أمّله، وكيف لا والحس فى الإنسان الأول، نعم فى رياض الجنات حتى ارتكب الخطيئة فأهبط إلى حضيض البليات، فتسلى عن مشاهدته الملكوتية وعن مجانسه من الأنواع الروحانية، ولا سبيل له إلى الرقى من تلك الوهدة واليقظة من تلك الرقدة، إلا بما يجعله الله له من النور الذى به يشرح الصدور، وذلك النور هو الشرع المنزل من الله على لسان رسله وأنبيائه، وبه عز الإنسان ومجده، والعامل به يتيسر له قصده، ومن طلب العز بغيره أذله الله، وقد شاهد الإنسان عاقبة مخالفة الشريعة، فإنه

انحط إلى أفق الحيوانات، ورأى صنيعه بعد أن كان مجانساً للملائكة الروحانيين، متشبهاً بالأنبياء والمرسلين، أصبح إباحياً لا تلويه الشريعة عن عمله، ولا تكبحه البلايا عن سوء أمله، حتى صار عبداً لبطنه وفرجه، ثم تعدى الآداب البهيمية إلى أن تجاوز في الشرور والمرتبة الإبلسية، وتلك القضية قضية العالم أجمع، والعدل بالإصابة فيها يقوم بالخير الأنفع، والمعونة من الله، يمد بها سبحانه من والاه.

رئيس المحكمة

شرحت لنا ما نحن في حاجة إليه، فوضح لنا النموذج الذى فى قضيتنا هذه نُعول عليه، حتى نسلك النمط الوسط، ونخرج من هذه الدعوى بسلامة فقط.

العلم

سبق للقسط أن بين تباين النفوس وأظهر تنوع الدروس، وإنى أزيد مولاي علماً، حتى يكون السير فى هذه القضية سلباً، الحس يا مولاي وإن كان محكوماً بالنفس، إلا أنه شيطان الجسم، أكثر الناس يتخذونه إلهاً من دون الله، يأمرهم فيتبعون وينهاهم فيطيعون، يخالفون حكم الله الصريح الذى شرعه، وفى مخالفة الشريعة هوى الجسم فى حضيض صرعه، وبين الحس والنفس عداوة لا تزول، ومخالفة إلى الشر تؤول، مذ وقعت فى الخطيئة بسببه وأكلت من الشجرة بطلبه، والحس قد حرم غذاءه الشهى فى رياض الفردوس البهى، فهو يبحث عن ملاذه ومسراته، ويبذل كل ما فى وسعه بسكب عبارته، حتى تسلى بالملاذ الجسمانية ونسى المسرات الروحانية، فأصلح يا مولاي الحس تَكُنْ قد أصلحت النفس، فإن الحس يريد الموصول لها أخبار مملكتها، ووسيطها القائم بينها وبين رعيته، فما تغير ما بالنفس من الحق الجلى إلا بعد أن أورد عليها الحس الباطل الوبى، كان الحس فى الفردوس يستنير بنور العقل حتى أهبط إلى الأرض فاستضاء بنور البصر المحاط بالفساد طولاً وعرضاً، والحس يا مولاي لا غذاء له فى كون الفساد، ولا مسرة له ولا مراد، ولكن نسى فنسى، وكيف لا وحوله ضروريات الأجسام فى المعادن والنباتات والأنعام.

رئيس المحكمة

كيف نسوس المحس حتى يتذكر ملاذه ومسراته الروحانية ولا أرى ذلك إلا بسياسة مرضية.

العلم

مولاي أعاذك الله من ذكر السياسة، فإنها فاتحة الشرور لبنى الإنسان، ومصدر كل خراب وهوان، يستعملها أهل المطامع الضالون، الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فظنوا أنهم في كون الفساد خالدون، أهل السياسة أضل من الأنعام السائمة وأضر من الشياطين الغاشمة، وإن بين السياسة والعدل كما بين النور والظلمة، أو بين الحماقة والحكمة، إنما وضعت السياسة لتذليل البهائم والوحوش، أو للأثرة بالأموال والعروش ظلماً وطغياناً، لا عدلاً وحناناً، كل أمة جعلت السياسة رائدها والخديعة قائدها، حاربت الفضائل والآداب ونشرت الرذيلة والخراب، وهذا شأن الأمم الجاهلية والمجتمعات الضالة الجهنمية، السياسة وما أدراك ما السياسة؟ تحير العقول بالأباطيل وتستولى على الأمم بالأضاليل، ظاهر حالهم أنهم يحسنون بهم صنعاً، وهم يريدون لخيرهم منعاً، وأهل السياسة وإن سادوا فذلهم قريب، وإن ابتهجوا بحالهم فمستقبلهم رهيب، وقد شنع الله عليهم في كل كتبه السماوية، وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار الحميمة.

رئيس المحكمة

حملت حملة شعواء، ولفظ السياسة استعملها العلماء، وقد استعملها يوسف الصديق عليه السلام، وقصته مشهورة في شريف الكلام، وقد أمرنا بمداراة الناس، فما هذا الإلباس؟ أقم الحججة على صحة مذهبك، وإلا حكمت بسوء أدبك.

العلم

أنصفت يا مولاي وأنت العدل، وإنما تقام الحججة بالعقل، أضرب لمولاي مثلاً فيه الجواب،

وأفصله ليستبين فصل الخطاب: والد رحيم شفيق عطوف رقيق، له ولد وحيد ينتظر خيره، ويرجو من الله بره، يجهد نفسه في حسن تربيته، ويبدل ماله وعافيته، يتحمل طيش طفولته ورعونات شبيبته، محافظة عليه وجلباً للخير إليه، يدأب الليل والنهار في تحصيل الخير له والادخار، متلذذاً بما يتحملة من فادح الآلام وما يصيبه من شديد السقام، وهذا العمل يا مولاي مع نيته، يسمى الحكمة بحقيقته.

ووصى أيتام طماع غشوم ذو نفس سبعية ظلوم، يفتك في أموالهم فتك السباع الكاسرة، ويختلسها اختلاس اللصوص الفاجرة، ويظهر لهم العطف الثعلبي مع النهم الكلبى، ويظهر لهم ما عاناه من الصعوبات في دفعه عنهم الآفات، فتارة يبكى بكاء التكللى وتارة يبتسم كما يبتسم السبع إذا هم بإنزال البلوى، حتى يجردهم من ال والإضافة، ويخرجهم من ما لهم أو يكون عنده في دار الضيافة.

هذا العمل يا مولاي مع نيته هو السياسة، فإذا قام الرجل بالتدبير وحسن الروية، لنفع فرد أو مجتمع بحيلة خفية، سمى عمله حكمة ومدارة، فأحبه أهل العقول ورضى عنه الله، وهذا هو العمل الذى رغب فيه الشرع الشريف، ووردت فيه الأوامر بالتكليف، قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَدِيقًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصل ٣٣، ٣٤، أما من قام بالمكر والخديعة لسلب أموال الناس، والإفساد بين الأكياس، وسعى ليفسد الأعراض، وقلبه مريض بالأغراض ونفسه منجسة بالأمراض، فأظهر الرحمة وأبطن العذاب وبين العطف وأخفى الخراب، فذلك هو الخبيث الماكر والأحمق الساحر، لذلك ترى أهل العقل والفضيلة يرون التكلم في السياسة ضياعاً وردية، فكيف باستعمالها بين العائلة أو القبيلة، وكم هتت بالسياسة عروش ملوك سادوا، وكم ذل بها من للمجد بالفضيلة شادوا، لأنهم صدقوا الختانيين من أهل السياسة، فعاملوهم بما يليق بأهل الفضيلة من غير تبصرة، فوثقوا بهم مستسلمين لهم، وارتابوا من أهل النصيحة والحكمة، فما لبثوا إلا ريثما انكشف الستار، وظهر أن تحت الثلج النار، ووراء التبسم مخالب قسورة، ولا حياء ولا معذرة، وصارت الصورة الإنسانية حقيقة شيطانية، فيحل الندم حيث

لا مناص، وتدهش العقول للسلامة ولا خلاص، وهذه هي السياسة تنهار بها عروش الملوك،
ويباح بها عرض الصعلوك، أما ما يعنيه مولاي العدل - حفظه الله ونشره بين الأمم وأعلاه
- فهي الحكمة التي هي ضالة المؤمن وجمال المحسن، ولي العذر فيما أبديته أولاً، ولا عذر
لمولاي فيما واجهني به مؤولاً.

رئيس المحكمة

يا علم، إن مدلول لفظك أدهشني، ومقامك العلي عندي أخرجني، وإن كان لا يليق
بالعدل أن يأخذ باللفظ، فإن الكلام إما لمعاملة أو وعظ، ولا يستبان معناه إلا بإضافة نية
المتكلم إلى فحواه، وإنى أعتذر إليك مما سبق منى فقد اتحد شأنك وشأني، فارسنا لنا السير
في القضية بالحكمة والروية.

العلم

إن التوفيق بين تلك القوى المتباينة والفطر المختلفة بالمعينة، لا يمكن أن يكون بالقسوة،
فإنها تبطن في القلوب الجفوة، وتولد سخائم الصدور، وتوقع المجتمع في الشرور.
ولي طلب أبعده للهيئة الموقرة ولا أخفيه، وهو أن يسمح الرئيس لحضرة القاضي المحبوب
الهدى لأناظره في القضية من الابتدا.

رئيس المحكمة

يا هدى أجب أخاك لما إليه دعاك.

الهدى

لبيك لو أشرقت شمسي بأفاقي
وعم نور الهدى الآفاق وابتهجت
وقام كل امرئ للحق يطلبه
أنا الضياء لكل الخلق أجمعهم

للاح نوري مبيناً حال إشراقى
نفوسنا في صفا أنس وأخلاق
وخاف كل فتى من قهر خلاق
وبى يعيشون في صفو الهنا الراقى

سمحت لى أيها الرئيس أن أناظر العلم، وضالتنا المنشودة محو الحرب بالسلم، ليعيش الإنسان فى أمن من شرور الإنسان، وكفاه مكافحة الجو من ميكروبات وحيوان، ومعالجة الأسقام والأحزان، فإن الإنسان إنما خلق ليعمل لمستقبله الآجل، الذى هو إليه راحل، وكيف لا والله خلق الكون من عاليه ودانيه وباطنه وخافيه للإنسان لبيتليه، وخلق الإنسان لعبادته سبحانه وتعالى، وأعد له الملك الكبير وسخر له ما فى السموات والأرض جميعاً منه، وبين له مخاوفه ومأمنه، فكل ما فى الكائنات عناية الله المعين لهذا الإنسان، الذى هو من ماء وطين، وكيف يجهل الإنسان نشأته الأولى وينسى عهد المولى، ويميل إلى أسفل سافلين، وهو معد لأعلى عليين، وقد بين الله له سبل الهدى وحذره طرق الردى، وأغدق عليه نعماء وبفضله العظيم والاه، فكل ما هو من الخير لديه واصل من الله إليه، فلو نظر فى نفسه نظرة بصير متدبر واهتدى هداية فتى متفكر، لأحب المنعم الوهاب حباً يفنيه عن نفسه وينسيه مقتضيات حسه، ولكن قال الله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ، مِنْ أَى شَىءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ وَقَدَرَهُ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾^{ع ١٧-٢٠}، وإنى أمام الهيئة الموقرة، أخط لكم خطط السير فى تلك القضية بأساليب جلية، لا ريب فيها ولا إلباس، برفق وشفقة لا بشدة مراس، وهذه الخطة أن يفتح الرئيس مجلس القضاء ليحضر الخصوم، اللائم منهم والملوم، ويتفاهم معهم فى كل الشئون، حتى تقر بالصلح بينهم العيون، فإن كل قوة منها تسارع لنيل الخيرات، وترى الأخرى تنازعها فى الغايات، ولكل قوة منها خير لا تميل إليه الأخرى ولذلك حلت بهم البلوى، فإذا بينا لكل قوة أن خيرها الحقيقى هو الفوز بالنعيم الأبدى، ولا يتيسر هذا النعيم إلا بقيام كل قوة بالعمل لخير الجميع ولديها تصل إلى المقام الرفيع، فإن للروح مطالب لا تنالها إلا بالجسم والحس، وللجسم والحس ضروريات لا ينالنها إلا بمساعدة النفس، وتركيب الجسم الظاهر فى أعماله كتركيب المجتمع الباطن فى آماله، فاليد تخدم جميع الجسد ولو انفصلت منه هلكت إلى الأبد، وكذلك كل عضو فى الإنسان، ظهر للهيئة الموقرة البيان، وقد بين القسط والعلم الحقيقة كل البيان، فنفذ ما أبديته بعد الروية والعلم، وامزج أيها الرئيس الشدة بالحلم، وادع الجميع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، لأن الله بخير خلقه منهم أعلم، وهو سبحانه وتعالى بهم أرحم، فتوبوا من خطاياكم إليه، وأقبلوا

بحسن الثقة به عليه. ثم يجلس الهدى.

رئيس المحكمة يتكلم مع القاضى الرابع، وهو التوفيق.

أيها التوفيق: أنت للمستقيمين خير رفيق، ولا شك أنك لا تنال إلا بالله كما قال خطيب الأنبياء: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^{٨٨}، ألك ملاحظة على ما بينه إختك فتلك القضية قضيتك.

التوفيق

إنى متحد مع الهدى فى نصيحته، لا اعتقادى بحسن طويته.

رئيس المحكمة

باسم الحكم العدل افتتحت جلسة القضاء.

الكاتب يقرأ محضر الجلسة قائلاً:

نفذ حكم الرئيس على النفس السبعية، فوضعت ومن معها فى دار الاحتفاظ ٢٤ ساعة زمانية.

رئيس المحكمة

من هم الخصوم؟

الكاتب

الخصوم يا مولاي: النفس الناطقة الملكية، ووكيلها العقل ومعه الفكر والروية، والحكمة والعفة والشجاعة والكرم والعدالة والنور، والخصم الآخر النفس السبعية، والنفس الشهوانية، والتهور والجبن والعجب والافتخار والاستهزاء والغدر والضيم.

رئيس المحكمة يأمر بحضور الخصوم وعلنية الجلسة، لديها تزدهم المقاعد بالوفود والرحبات بالشهود، رئيس المحكمة ينادى النفس الناطقة، والعقل يلبي على الفورية.

رئيس المحكمة

ما اسمك؟

العقل

اسمى العقل بن القسط.

رئيس المحكمة

أنت لا صفة لك لدينا ولا حق لك علينا، فبين لنا حيثيتك حتى نعلم منزلتك.

العقل

دعوت النفس الملكية، وأنا القائم مقامها، سفرها وحلها.

رئيس المحكمة

اثبت ذلك بالحجة، وإلا انصرف من تلك الفجة.

العقل

النفس الملكية محجوبة عن الأبصار، لأنها مفارقة للمحيز من الآثار، تعرف بأعمالها الحسان، ولا تظهر جليلة إلا في الجنان، أو لنبي مرسل، وكيف تظهر وهي من نور صاغها الله، لا يشهدا إلا من صافاه، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^{الاسراء: ٨٥}، وقد أثبت توكيلي عنها بما لدى منها، فأنا وزيرها الأول، وعلى في شؤونها المعول، فهي كالشمس في رابعة السماء، ونورها مشرق على الأباطح والمنخفض من الماء، فهي وإن أشرق نورها لا تدانى، ولا يدرك أحد حقيقتها ولو فيها عانى، فاسمع منى بعد التحقق بقولها ذلك عنى، فإنى ألقى عليك بيانى عنها بلسانى وجنانى.

الروح يا عدل فوق العقل إدراكاً
 قد أعجزت وهى من آيات خالقه
 الروح صيغت من النور العلى فلم
 الكل فيها حيارى جل مبدعها
 يا عدل تسأل عن الروح لقد حجبت
 نص القران بأن الروح غامضة
 العقل نائبها والعقل رائدها
 لم تدركا وبذاك العقل أنباكا
 فكيف تدرك يا مخلوق مولاكا
 تدرك بعقل وهذا العلم أفتاكا
 سلم لمن يجلى العلم ناجاكا
 صوناً عن المحس والتحقيق وافتاكا
 من أمر ربك من بالفضل والاكا
 والعقل غيب وبالإحسان داناكا

أيها العدل المفخم والرئيس المعظم، النفس ليست عرضاً ولا جوهرًا، لأنها لو كانت كذلك لحيزها المكان ولأدركتها الصبيان، ولم يختلف فيها اثنان، وكيف لا... وقد عجز العقل عن دركها، ورجع البصر خاسئاً عن أن تلوح له بارقة من أنوارها، والعدل أيده الله تعالى، يعلم أنها ظاهرة الأثر خافية العين، بلا ريب ولا مين لأنها من عالم الأمر وليست مجانسة للأشباح، ولا محيزة بالأفلاك والبطاح، وغاية ما وصل إلينا عنها عجز أهل التحقيق عن درك شئ منها، إلا من اصطفاهم الله تعالى، فزكى نفوسهم وحفظ من الخطيئة حسهم، وأزال عنهم بنور اليقين لبسهم، وأشهدهم ملكوته في كل شئ، فمحت أنوار الملكوت الظل والفقى، فحصل اتحاد الجسم بالنفس واتحاد الجسم بالحس، مسارعة إلى طاعة النفس، ولديها تلوح أنوار الروح تجذب الكل إلى حضرة السبوح، فيفر الإنسان الكامل إلى فسيح الأرواح مفارقاً لمقتضيات الأشباح، إلا ما لا بد منه من لقيات يقمن الصلب، بعمل مشروع يطيب فيه الكسب، وقيام بواجب فرضه الله لمن كلفه به سبحانه وتعالى لنيل رضاه فراغاً لقلبه من الشؤن، وطهارة لسره ليفوز بالثواب، حتى تكون النفس مرآة لصور الغيب المصون، والجسم مشكاة مضيئاً بالفضائل للعيون، ولديها يكون الإنسان كاملاً في نوعه، عاملاً لله في طوعه، لا يعصى الله ما أمره ويفعل ما يؤمر شرح الله صدره.

هل تلك الحقيقة النورانية تلوح للأبصار، لا بل للبصائر إلا بمقدار، قال الله تعالى:
 ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾^{الابراء ٨٥}، أتكلم مع العدل بقدر ما كوشفت به من أثر أو علم

خصصت بغيبه، فلا تطلب ما لا ينال، فالعمل خير من الآمال، واسألنى ما شئت أبين لك المحجة وأقم لك عليه المحجة، ولى العذر وما ثم من وزر.

رئيس المحكمة

أوكيل أنت عنها؟ فأين المحجة لك منها؟

العقل

أنا أحقر من أن أكون وكيلاً عن الروح، وإنما يحتاج للوكيل من ليس له وضوح، والعاجز من احتاج إلى الوكيل، أو عجز عن إقامة الدليل، والروح أقرب للإنسان منه إذا أبصر، وبها حياته وحسه وعمله إذا فكر، أنا خادم أعتابها وبواب جنابها، والسفير بينها وبين رعيتها، والوسيط لإبلاغها شؤون مملكتها، وأنا ما وقفت بين يديك وحضرت لديك، إلا بالمحجة القاصمة والأدلة الناصعة، وإن لكل حق حقيقة تظهر، والظهور لا يلوح إلا في مظهر، فعلى أن أبين لك الحقائق، وعليك بعد وضوحها أن تكون موافق، واحتسبني محتسباً لدفع شر مستطير، ونيل خير في الحال والمصير، فأنت العدل وإليك المرجع بعد الله تعالى، وعليك المعول إن ظالم تغالى، فاسمح واسمع، فإن ظهرت لك الحقيقة فاقبلنى واقبل منى، وإلا فردنى وانصرف عنى.

رئيس المحكمة يخاطب الأعضاء:

ما ترون في شأن هذا الخصم الشديد والمطالب العنيد؟ وقد قال رسول الله ﷺ: (إن لصاحب الحق مقالاً)، وقال ﷺ: (الراحمون يرحمهم الله).

الأعضاء

الرأى أيها الرئيس أن يقف كل خصم أمام خصمه، مواجهاً بلا حجاب حتى تتضح الحقيقة بفصل الخطاب.

الرئيس يأمر بتنفيذ هذا القرار. فتسرع الشرطة بتنفيذه بغير انتظار، ويقف الخصوم كل أمام خصمه، يقف العقل أمام النفس السبعية، والفكر أمام النفس البهيمية، وتقف الروية أمام التهور، والعفة أمام الشهوة، والشجاعة أمام الجبن، والكرم أمام البخل، والعدالة أمام الغدر، والنور أمام المحس، والرحمة أمام القسوة، والعزة أمام الضيم والنطق أمام الجسم.

رئيس المحكمة

افتتحت الجلسة بعد المداولة.

رئيس المحكمة ينادى الخصوم، كل باسمه ولقبه.

الخصوم، يلبي كل واحد عن نفسه.

رئيس المحكمة

ما هذا الخلاف المؤدى إلى الائتلاف؟

النفس السبعية

يا مولاي، ظلم فطرت عليه النفس الملكية فهي تحسدنا على ما خصنا الله به من المزية، شهوتها يا مولاي تفارق شهوتنا، ولذتها تغاير لذتنا، وسعادتها غير سعادتنا، أنا يا مولاي وإن كان لى السلطان الظاهر والفعل الباهر، إلا إنى خادمة للجسم والمحس، لولاي لتعذرت عليه شهواته وتمنعت عليه لذاته، وحظرت عليه سعادته، وسل يا مولاي الجسم والمحس، فإن المحس يدرك كمالاته، والجسم يشتهي مسراته ويخشى مضراته، فأبذل ما فى وسعى لجلب الخير بلا ضرر، ودفع الضرر ومنع الشر، رحمة بهما وإشفاقاً عليهما، ولم أنل من ذلك ربحاً، وتوسعى من الروح قذفاً وقبحاً، فهل هذا جزاء أهل الرحمة بالضعفاء؟ أو مكافأة من يحسن فى العطاء؟ وشهوتى يا مولاي فيما به قوامى من مأكلى وشرابى ولباسى، ولذة فى المتعة بالمجانس مع الفتيات فى الخلوة بالإيناس، وسعادتى فى قهر الخصوم والتصريف المطلق فى

ملك وأعراض الناس، وهذه الروح تأبى حسداً إلا تجريدى، ولا ترضى إلا بدلى وتقيدى
وهذا فوق ظلم الظالمين.

لا يحمل الضيم فى أرض يعيش بها إلا الأذلان غير الحى والتود
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحد

والناس فى صفاء بلا روح، وكل يعانق الغيد مساء ويحتسى الخمرة فى الصبوح، لا يكدر
صفوهم ذكر جنة ولا نار، ولا يمنعهم عن الرذائل لوم ولا عار، والعدل عندنا قهر الغير
حتى يكون خادماً لنا، والكرم لدينا سلب أموال الناس وبذلها فى الفجور والكأس، والحكمة
فيما غش أهل الأموال بالباطل وزخرف الأقوال حتى نختلس ذخائرهم ونفسد حرائرهم،
مولاي، لم لا تحسد الروح الأنعام السائمة، ولم نعمل عملها؟ فهى لنا ظالمة، ومن الحكمة
عندنا أن نتملق لأهل القوة القاهرة، حتى نخدعهم بالحيلة الظاهرة، وندانى الضعفاء
ليكونوا لنا عبيداً ونساءهم لنا إماء، بالتهديد تارة وآونة بالأمال، والعفة فينا أن نختص بمن
نشتهي، فلا نترك له محرماً يدانيه، ونحرص على من فسقنا فيها، من أن زوجها يدانيها، وإنما
العفة أن نعف شهوتنا عن أن ننال ضيماً، أو نكبح جماحها قهراً أو لوماً، والشجاعة عندنا أن
نخدع الأقوياء ونقهر الضعفاء، فنذل الوالدين والزوجة والأولاد، ونضر الحيوان والأنداد
كالوحش الكاسر، ونتملق للأقوياء كالثعلب الساحر، وهذه هى أخلاق البهائم الراتعة
والشياطين التى هى عن الخير مانعة، ومن يمنعنا عن هذا فهو عدونا نحاربه ولو كان
صديقنا، هذه هى الفضائل التى بها مسرات الحس، وراحة الجسم وجمال النفس، ولا لذة
بسواها لأحد، وسل يا عدل الوالد والولد، ولنا ملاذ أخرى من بهجتها النفوس سكرى،
وذلك أن نغرى من خدعناهم من الأقوياء فنوقع بينهم العداوة والبغضاء، حتى تضعف
قواهم وتزول مزاياهم، ونفترسهم بأنياب الكيد كما يفترس قسورة الصيد، فيصبحون همج
الرعاع وخدماء لنا لحمل المتاع، ونصبح ولنا السلطان بعد الهوان، وعليهم الذل والهوان بعد
السلطان، ونسارع أن نمحو من بينهم الفضائل ونثبت بينهم الرذائل، حتى تزول معالم المجد
الموروثة لهم عن الأب والمجد، وننسيهم تلك المقامات، حتى يتحققوا أنهم بلغوا بنا أعلى
الكلمات، فيفتخر من كان فى المجد التليد، كما يفرح باللعب فى الصورة الوليد، وكم ذلت أمم

بتلك الأعمال حتى خسرت الآمال بعد أن بلغت الكمال، ولنا أساليب خفية ومهاوى للأفراد والمجتمعات جهنمية، فتارة نظهر الرحمة بالنباتات والحيوان لنسارع إلى هلاك بنى الإنسان، وآونة نفتح باب الفتن للطعن في الأديان لنثير الغارة تفريقاً للإخوان، ومرة نظهر الإشفاق ونكمن النفاق، فننادى بتعليم الأفراد ونشر الفنون للرشاد، لنميت من القوم صناعاتهم والفنون ونذيقهم بأنواع الفقر كأس المنون، حتى يصبح المجتمع يتخبط من الفقر، وينتشر فيه التلصص والزور والغدر، فيصبح بعضهم لبعض خصوماً، والولد لأبيه عاقاً ظلوماً، فيلتجئون إلينا التجاء الدجاج من داعيه المشفق عليه، إلى الذئب المهاجم عليه، فنعدل بينهم في القضية عدل النار الحمية، في حزمة الحطب اليابسة لا الطرية، ولنا رحمة بهم توردهم موارد الخذلان، ونعلمهم من العمل ما به يكونون لنا غلمان، حتى بالخزى يرضى من كان بالملك لا يرضى، ويفرح بالدناءة من كان عليه لا يقضى، ننسيهم الدين والدنيا، حتى يروا نقائنا هي المقامات العليا، أى مسرة تشبه تلك المسرات يا عدل؟ وأى لذة تشبه تلك الملاذ؟ وأنت من ذوى الفضل، وهذه النفس الملكية ووزيرها العقل تحسدنا ظلماً على ما نحن فيه من الفضل، وهل من بسطت له تلك الموائد وصُفت حوله تلك المولاتم، يصغى لقول حسود معاندا! ما هي تلك اللذة العقلية؟ ومن الذى ذاقها بالحالة الفعلية؟ ونحن بين طعام شهى ولباس بهى ونديم وضى وشراب روى وفرح زائد وسرور وتمكين من الحظوظ وحبور، وإن شئت يا عدل أن أشرح لك ملاذنا، وأبين لك حظوظنا لتركنا منصة السيادة والتمست منا الجوار والوفادة، وعشت عيشة السباع الكاسرة والشياطين النافرة، ممتعاً بما تشتهى وعمّا نحن فيه لا تنتهى، ولو صرت كلك عقلاً لما رضيت صرفاً ولا عدلاً، بينت ما يمكن بيانه أمام العامة، ولو كشفت الغطاء عن الحقيقة لكانت بلية الروح طامة، من ينكر على تلك الشهوات من الشبان والفتيات، اللهم إلا كهل إحدى رجليه فى القبر، أو مبتلى ضاع منه الصبر، أو عابد جهل اللذة واتبع الوسواس، وهؤلاء ليسوا من الناس.

رئيس المحكمة

سجلت على نفسك الخزى والفساد، وإنك لمفسدة لأخلاق العباد، فبين لها يا علم عيوبها وردّها إلى صوابها، لأنك حرى بما هنالك وهذا من دائرة أعمالك.

العقل

اسمح لي بأن أتكلم بلسان أهل الصلح والرحمة، ليكون المجلس للرفقة لا للحكم والشدة لأننا إنما جلسنا لنبين لتلك القوى المختلفة نوعاً وجنساً، أنها متحدة لنيل كمالها حساً، ولا كمال لها إلا بالاتحاد والتعاون وإن كانت في غاية من التباين، وكيف لا... ولكل قوة غاية تسارع لنيلها إلى النهاية، وتلك الغاية هي الخير والسعادة، وبالتعاون ينال كل نوع منها مراده، والعدل وإن كان نظام العالم، إن رأى الخير في الرحمة للخصوم سالم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الأنفال ٦١، وإني مبين للنفس السبعية وأتباعها موارد خيرها ونفعها لتتحد بالعقل والنفس الملكية اتحاداً يبلغها غايتها العلية.

رئيس المحكمة

قد وكلت الأمر إليك يا علم، وعولت فيه بعد الله عليك، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ مرد ٨٨، وقال ﷺ: (امش ميلين، اصلح بين اثنين).

العلم

أيتها النفس السبعية لم يخلقك الله عبثاً، وإلا كنت هباءً منبثاً، ولكنه خلقك لحكمة جليلة لمن تدبر، خفية على من غفل واستكبر، ومال عن الحق وأدبر، أنت القوة التي بك دفع الرذائل والمضار، ونصرة الحق بكبح الأشرار، وجلب الفضائل والخيرات، واستبدال المتاعب بالمسرات، لك لذة وخير وسعادة أفسدها عليك الحس والشيطان، واستبدالها بشر وخزي وبهتان، أفسد إبليس الحس ليقودك إلى النار أيتها النفس، فأقبلت بكلك على الحس مسارعة، وهو يحسن لك القبائح منه مخادعة، حتى جعلت النقص كمالاً والقبائح جمالاً، والآلام ملاذاً، والعدو اللدود حبيباً، ولو فكرت في عاقبة أمرك لرفعت للعدل غاية عذرک، هل الله تعالى خلقك لاعباً أو تحققتيه غائباً، وهو الحكيم القادر المطلع على خفيات السرائر، أقرب إلى الإنسان من حبل وريده فكيف يغفل عن مبدئه ومعيبه! أنت أيتها النفس لك كمال لن تبلغيه إلا بأن تعادى الشيطان ولا تدانيه، فاكبحى جماح حسك فقد أوقعك في

لبسك. بينت لذتك المخجلة لأهل العقول، وخيرك الذى هو خيبة المأمول، وسعادتك التى هى دون سعادة البهائم السائمة أو الوحوش الهائمة، وتيقظى من رقدة الجهالة والمهلة، ونومة الهلاك والغفلة، وأصغى لخيرك المبين فقد جئتك من سبأ نبأ يقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^{الزمنون ٥٧-٦٠}

فحسبك أيتها النفس السبعية، فقد فخرت بما يترفع عنه البهيم فإن كلب الصيد مع جوعه وتعبه الأليم، يجلس الصيد على صاحبه، أو يحملة إليه محفوظاً من عمل ذميم، ويلقيه بين يديه ناسياً عطشه وجوعه، بعد أن مزق بالعناء ضلوعه، وهذا الكلب استعلت لذة الشرف على لذته الكلبية، وترى الدجاجة تحفظ فراخها فتتجهج على السبع بحمية، وترى القط يخفى رجيعة محافظة على شرفه لا خوفاً من تلفه، وترى الديك إذا رأى غداء وهو جائع، اهتز ونادى الدجاج فجاءه وهو مسارع، فوقف يتمايل تمايل الشارب الثمل فخراً بحسن ما عمل، أيتها النفس السبعية، إن اللذة الباطنة استعلت في البهائم على اللذة الحسية من المنكح والمطاعم، فكيف وأنت نفس إنسانية تفتخرين بالملاذ البهيمية، وكيف تستعل فيك لذة البهائم على لذة الإنسان؟! وهو مؤهل لمعية النبيين والصدّيقين في الجنان، بل في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فكيف يلقي بنفسه في شرار مستعر، لعلك أيتها النفس السبعية يخذعك الحس والشيطان، فيلبسك الذل والهوان، ويقول لك الجسم: إذا عشت بدون أكل ولا شراب ولا نكاح فأى لذة وسعادة تكون لى مع هذا الضرر الصراح. أنبهك أيتها النفس السبعية أن هذا خداع، ليلبس عليك الحق بالباطل، ويقودك قيادة الخبيث للجاهل، فتفكرى في حال الملائكة الروحانيين ولذتهم وبهجتهم بعبادة رب العالمين، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^{التحريم ٦}، فهم في حال ألد وأبهج وأسعد من الخلق أجمعين، وإنما الغاية الأخيرة

للإنسان نيل تلك اللذة في القرار المكين، وهنا أبين لك الحقيقة لتشهدها بالبصيرة. اللذة تحصيل ما هو خير وكمال في الحقيقة ونفس الأمر بعد إدراكه فعلاً، ولا لذة لمن أدرك ولم ينل، أو نال ولم يدرك أصلاً، والنيل لا يكون إلا بحصول ذات الشيء، والإدراك قد يكون

بحصول صورة تساويه كالفىء، وإن كان النيل يدل على الإدراك فبالمجاز، والإدراك يدل على النيل بالإيجاز، وإنما قيدت بقولى فى الحقيقة ونفس الأمر، لأنبه على المحافظة من العذر، فإن الشىء قد يكون كمالاً وخيراً، وتعمى عنه البصائر وتراه شراً، وقد يكون شراً مستظيماً، فتتجذب إليه الشهوة فرحاً وسروراً، وتراه لذة ومسرة، وهو بلاء ومضرة، كما خدعك أيتها النفس السبعية الحس والشيطان، ومال بك إلى جانب النيران، والألم حصول ما هو آفة وشر فى الحقيقة ونفس الأمر بعد إدراكه، والملاذ تتفاوت بحسب القوى البشرية، فالخير عند الشهوة ملبس ملائم ومطاعم شهية، والخير عند الغضب الغلبة ولو بالبلية، والخير عند العقل فأولاً وبالذات القرب من الله تقدرت ذاته، والإقبال عليه بالكلية، لتحصل له مرضاته، ومن لذة العقول السليمة نيل الشكر والحمد والكرامة بالأفعال الجميلة، والكلمات بالنيل والإدراك متفاوتة، فكمال اللذة تكيف العضو بكيفية الخلاوة إذا حفظ مكانته، وكمال القوة الغضبية وجدان النفس بكيفية غلبة أو شعور بأذى يصيب عدوها وبذلك ينمو سرورها، وكمال النفس الملكية أن ترى وجه ربها من غير الشوائب البشرية، متمثلة نوره وبهاءه وجماله وضيائه، ولذة الروح هى اللذة المستعلية على كل خير، وهى السعادة التى لا تشاب بضير، وما قبلها دونها لأنها ملاذ شهوانية، وخيرات جسمية ليست عند أهل الصفا بلذة ولا سعادة وإنما هى دفع لآلام وفرار من البلادة، فإن لذة الطعام إنما هى دفع لآلام الجوع، فإذا زال ألم الجوع صار منظر الطعام يروع، وكذلك الملبس والمنكح، إذا زالت الشهوة صار من الألم أقبح، وليست اللذة زوال الآلام، إنما هى تحصيل الخير والكمال. ظهر لك أيتها النفس السبعية أن الملاذ هى فى الحقيقة عقلية، فمن فقد لذة العقل فهو بهيم أو جهول، وإنك أيتها النفس السبعية تنالين بصفاء جوهر نفسك الملكية قسطاً وافراً من اللذة الروحانية فتضمحل بها كل الملاذ الحسية، وتستعلى بها الشهوة العقلية على تلك الحظوظ الدنية، أيتها النفس السبعية، إذا أنت انقذت للعقل ابتهج الحس بالمسرة والجسم بالفضل، وساحت الروح فى فسيح الملكوت الأعلى، ووافتك بطرائف العرفان الكبرى وجذبت باتحادك معها إلى فسيح الملكوت، وأوت بك إلى جانب الحق بجميل النعوت، فعشت خالدة بلا موت، فى نيل وإدراك الخيرات بلا فوت، وفى جوار رب العزة فى مجد ومعزة.

رئيس المحكمة

كشفت لنا أيها العلم الموضوع حال الشروع، فما ترين أيتها النفس السبعية؟

النفس السبعية

اسمح لي بأن أبين لخصمي على قدر كشفى وفهمي، فقد سحرني بالكلام وألمنى بالملام - وتلفتت إلى العلم - أنت تقول اللذة إدراك ونيل، وأنا معك فيما تقول ولم يحصل مني نيل، أنا ما أدركت إلا المأكل والمطعم والملبس الذي يُحس ويُلمس، وليس ثم ما تدركه سواها قواي، فكيف تقهرني وتروم رضاي؟ وكل العلماء يعلمون ما تقول، وقد وقعوا فيما تراه شراً بالوصول، لو نالوا ما تدل عليه لبذلوا الحياة في الوصول إليه، فأرح نفسك من العناء أنا لا أترك لذتي بجدل ومراء.

العقل يستأذن الرئيس في أن يتكلم، والرئيس من غباوة السبعية يتبسم. ويقول:

رئيس المحكمة

أيها العقل، إن تلك النفس السبعية لا تُقاد إلا بالقوة القهرية، وإنما كلامها باللسان لا باللسان، والله يتولى هداها، فإنه سبحانه وليها ومولاها، ولكن تكلم يا عقل، وتحر في بيانك النقل، حتى يكون حجة على الخصم الباغى الذي هو فاجر وطاغى.

العقل

صلح النفوس حقيقة لا تدرك
حد الإله لها الحدود مبيناً
قهرراً تذلل لا تقاد مطيعة
لكننا نبدى لها سبل الهدى
فاسمح فديتك رحمة بجمعها
كيما تميل إلى الهداة وتقتدى
لكنه قصد وليست تترك
نور الهدى، وبيان طه المسلك
إن لم تطع قهراً فحتماً تهلك
حتى يلوح لها السبيل وتملك
إنى أداريها بنظم يسبك
بالمصطفى وعلى المناهج تسلك

رئيس المحكمة

يا عقل يا نور القلوب أنت الضياء لسالك
يا كاشفاً ستر الغيوب نور مبين ساطع
يرجو النعيم بلا لغوب اشرح فديتك للنفوس
يمحو عن الناس الخطوب الرشد في محو الكروب
والشمس تشرق لا غروب حتى يلوح ضيا الهدى

العقل

طوعاً لأمرك سيدي إنى وحقك بغيتي
تفدى بما ملكت يدي صبراً على فإنني
كبحى جمح المعتدي حتى أذل أنفساً
باللين حتماً أبتدي قد زاولت فعل الردى

أيتها النفس السبعية، بغيتك الجمال في الحال والمآل، وبغية المحس المسرات من غير آفات،
وبغية الجسم الراحة في كل الأطوار، في الدنيا وفي دار القرار، ولكن يا نفس جمال الكون
الفانى وبال، ويا حس مسرة كون الفساد عن النعيم المقيم إبعاد، ويا جسم راحة الكون
الفانى بلاء وأمانى.

فسارعى أيتها النفس إلى جمالك الباقي، حتى ترتفعى إليه على خير المراقى، وفر يا حس
إلى المسرة الباقية، التى فاز بها آدم قبل الهبوط من الجنة العالية، وجاهد يا جسم لتنال
الراحة التى لا تزول، فبالمجاهدة يصح لك الوصول، ولا سبيل إلى نيل هذا الخير المقيم، إلا
بالسير على الصراط المستقيم.

أنا أيتها النفس جعلنى الله نوراً لبيان سبل الرشد، وقوة لنيل خير القصد، أبين لك
مناهج الخيرات وموارد المسرات، لا بغية لى إلا أن نكون جميعاً فى طاعة الله حتى نفوز
برضاه، ولديها نقر بالنعيم الأبدى أعيناً، وندوم فى جوار رسول الله ﷺ فى دار كرامة الله،

التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إن سعادتكم بى وسعادتى بكم، وما وقفت هذا الموقف إلا لخيركم، والله وليى ووليكم.

أيتها النفس السبعية، إن اتبعت معى الهدى، حفظك الله من الردى، وتجملت بأكمل الجمال فى الحال والمآل. جمالك الغلبة والقهر فى السر والجهر، قهر الأعداء نصره للأوداء، وأنا أدعوك لأن تتجملى بهذا الجمال، لكن على الصراط المستقيم لا على مهاوى الوبال، فتفوزين بالمحسنين وتسعين فى الدارين، وهذا أمر يسير لو تفكرت، وسهل عليك لو تدبرت، ومن يبيع الخيرين بشر أو يلقي بنفسه فى ضر؟ فأسعدينى بما أعده الله لك وأسعدى بالقبول من معك.

واعلمى أن الحس عدو لدود وهو السبب فى إهباط آدم من دار الخلود، حينما اتحد مع الشيطان فأخرج آدم من النعيم، فذكره يا نفس بمسراته الماضية، حتى يتسلى عن الأضاليل الفانية، وتضمحل مسرات الدنيا فى نظره بعد طول خبرة، وعلم خبره.

النفس السبعية

أقم يا عقل على ما ادعيت البرهان، فليس بعد العيان بيان، فإنى مستريحة فى هذا الكون، وأنت لك لون ولى لون، فما هذا الجمال الذى تومى إليه؟ وهل بكلامك أعول عليه وأترك بقولك محسوساً وقد أراه ملموساً؟ وما تدعونى إليه غيب محجوب عن العيون والقلوب.

النفس الشهوانية

أيتها النفس السبعية أنت فى تصريف وإباحة وبهجة وسباحة، أيريد العقل أن يشد خناقنا ويوقعنا فى الآمنا، أنترك الحاضر من الشهوات لما هو آت؟ أحينى اليوم وأمتنى الغداة. ما لنا وللعقل؟ وليس له علينا من فضل، سلطى عليه الحس فإنه يقيم عليه المحجة ويجذبه إلى ما نحن فيه من البهجة، إحنا قدامنا لذاتنا، فلا نترك مسراتنا، إيه يا عقل تريد

منا؟ اسلم بنفسك وانصرف عنا وإلا اجتمعنا عليك، وأوصلنا الأذية إليك.

النفس السبعية

أيتها النفس الشهوانية، إن العقل تلطف في المقال وذكرني بحقيقة الحال، والناس يقولون: اتبع الكذاب لحد الباب. فإن كان كاذباً عنا رددناه، وإن كان صادقاً لزمانه، إن العلم شرح لنا والعقل على الخير دلنا، وليس بعد قيام الحجة إلا السير على المحجة، وليس من الحكمة أن نحارب من سالمنا أو نخيف من أمننا، وإنى أطلب من الرئيس أن يأمر الفكر بإقامة الحجة على النفس الشهوانية، فإنى من العقل قبلت وعليه أقبلت، فعسى أن تزول من بينهما المعارضة بعد المفاوضة.

رئيس المحكمة

يا فكر سارع للإجابة معلناً
حتى تزول من الصدور سخائم
يا فكر أثنى الله في تنزيهه
حسب الفتى مدح الإله لفعله
من يقتدى بك يهتدى لسبيله
نعم المجيب لذى الكروب تزيلها
أنت الرفيق على الطريق لسالك
يا فكر بين للنفوس فإنها
يا فكر ذكرها عساها تذكر

واكشف لنا تلك الحقيقة آمناً
أودت بأنفسنا بلغت المأمننا
نصاً عليك لنا بياناً أعلننا
طمئن قلوباً ترتجيك وأعينا
يرقى إلى نزل الكرامة ساكننا
تبدى له نجح المقاصد هينا
رام الوصول لربه متمكنا
جعلت لها سبل الغواية ديدنا
عهد النبي تسير سيراً أحسنا

الفكر

يا عدل تدعو للسعادة واهدى
طوعاً لأمرك ماضياً على
تلك النفوس غوية جمحت إلى
تفديك أنفسنا وتكفيك الردى
قدرى فإن الأمر إصلاح العدا
مهوى الضلال ولم تمل للاهتدا

لكن بأمرك قد أبين لها إلى أن أظهر المعنى يصح الاقتدا
ادع الإله بعونه سبحانه حتى يكون لنا الإله مؤيدا

أيتها النفس الشهوانية إن الله أمدك بما تعلمين، أمدك بما ل وبنين ونسيم بليل عليل وماء معين، وسخر لك كل شئ في السموات والأرض، تتمتعين في طولها وعرضها عناية منه سبحانه، وحناناً وفضلاً منه جل جلاله وإحساناً، وهو الغنى عن المعاوضة فيما وهب، والقريب المجيب بلا طلب، تفضل ولم يطالب بمكافأة وأغدق نعماء، وهو الغنى عن المساعدة، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وأتعمس الناس من حُرم شكر الحنان المنان، تفضل سبحانه وتعالى علينا بما لا نحصيه من النعمى وما لا نستقصيه من الآلاء، وهو الغنى عنا ونحن الفقراء إليه، فكيف نلتفت عنه في الرخاء وفي الشدة نعول عليه! وهو الله نعم الرب لنا في جميع أمورنا، وسعادتنا أن نكون نعم العبيد له في كل أدوارنا، مع ما تفضل به علينا من هذا الفضل العظيم، وعدنا على عبادته في جواره العلى بالنعيم المقيم، فواعجباً لنا كيف ننساه وهو أقرب إلينا منا، أو نلتفت عنه وهو غنى عنا، وكيف نشغل بفان يزول عن الخير الحقيقى والقبول؟!!

أيتها النفس الشهوانية، لم يحرم عليك ربك طيباً ينفع، بل حرم ما منه النفوس تجزع، رحمة بك أيتها النفس حتى تفوزى بالأنس مع أوليائه الأَطهار وصفوته الأخيار، أباح لك من النساء أربع وفي هذا للشهوة مقنع، ورغبك في الكسب الحلال وفيه لك الشرف والجمال، وحثك على كل خير وفضيلة وبين لك على لسان رسوله ﷺ سبيله، وحرّم عليك الفحشاء وهى السبب في البلاء، والخمرة التى هى أم الكبائر والمفسدة للعقول والبصائر، وفى الحقيقة ما حرم عليك إلا كل شر ووبال وهلاك وضلال، وفيما أباحه وسعة لك وزيادة.

أيتها النفس الشهوانية، الشريعة المطهرة حصن أمانك، فاكبحى بالمحافظة على حدودها عنانك، فإن القادر الحكيم الذى أنشأك هو أعلم بخيرك وهو الذى برحمته ابتدأك، ولم يرسل لك الرسل بالأحكام مبيناً لك الحلال والحرام، إلا لتبلغى غاية المرام، ولترتقى عن رتبة

الأنعام متنعمة في رياض الإنعام، عجباً لك كيف رضيت بالأدنى؟ وهو فان لا يدوم ولا ينال إلا بالكد والهموم، وتسليت عن النعيم الذى تسارع إليه الأرواح لتفوز بجوار الأخيار في معية الفتاح، لو تعلمين ما أعده الله تعالى لمن حافظ على حدوده يوم القيامة من بره وجوده، لتحققت أن ملاذ الكون بليات وأنه سجن المحسرات. ما هى ملاذك التى إليها تسارعين؟ أليست مأكلاً ومنكحاً وملبساً ضنين. هذه ليست ملاذ الإنسان لأنها دفع للآلام والأحزان، تأكلين لتدفعى ألم الجوع الشديد، ودفع الجوع ليس لذة عند الرشيد، وكذلك الوقاع دفع لألم احتقان الماء، ودفع الألم ليس لذة ولا صفاء، واللباس دفع للآلام الباردة والحرق، ودفع الألم عند العاقل ضرر، إنما اللذة لذة النفوس الزكية، لما تناله من الكمالات والفضائل العلية، ودليل ذلك أنك إذا تناولت الطعام زهدت فيه، وإذا قمت من الوقاع كرهته، وإذا ملكت المال عانيت بملكه العذاب أو أنفقتيه في معصية المنعم الوهاب، فلذتك ألم وبلاء، وإذا تزكيت صارت لذتك صفاء وهناء، فاسلكى معى هذا السبيل فقد وضح الدليل، وإلا تتمنين يوم القيامة أن تكونى تراباً إذا شهدت بحسك العذاب، فهلمى بنا نقدم لله المتاب قبل يوم الحساب، فإن باب التوبة لا يرتج إلا إذا المرء حشرج، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه وأوصل غفرانه وعفوه إليه، ويكفيك تذكر نعم الله الواصلة إليك وسوابغ جدواه المتواليه عليك، وما واجهت به ربك من كبائر السيئات وفواحش الهفوات، فإذا قابلت فضله العظيم المتوالى، بقيح ما واجهت به مولاك ولم تبالى، لكان ذلك من التوبة المقبولة والإنابة الموصولة، وحيث تذكرت فذكرت، وتبصرت فاعترفت، فأبدلى الشبع بجوع الصيام، والنوم بالقيام فى طاعة الملك العلام، والمحصر فى الدنيا بالمحصر على الفضائل، والزهد فى الآخرة بالزهد فى الرذائل، والطمع فيما يزول بالطمع فى خير المأمول، وأبدلى شحك بالمال فى الخيرات بالشح بالأوقات أن تصرف فى غير طاعات، فإن أنفاس المؤمنين نفائس، وإبليس يرخصها عليهم بالدسائس.

التهور يقطع كلام الفكر مع النفس، قائلاً:

إحنا منقبلىشى كلام الفكر ولا نردش عليه سلام، إحنا طول عمرنا ما نعرفشى الفكر، واللى يعرف الفكر يتعلم المكر، هو ربنا خلق الحاجات دى كلها وهو غنى عنها، وأعطاهما

لنا ولا يستلناش عنها، أنا أعرفك يا فكر بالدليل، هو ربنا يأكل ولا يعشق الجميل سبحانه وتعالى، خلق الدنيا وخيراتها لنا إحنا بس، ما تكثرش كلام روح بلاش هوس، لما ربنا يقول متاكلوش ولا تشربوش ولا تعشقوش، نقول له ليه خلقت لنا الحنك والبطن وجعلتنا زى الوحوش، لو كان عايز يجعلنا لا نأكل ولا نشرب كان يجعلنا ملايكة، كلامك ده أعجب وأغرب، إحنا رايجين نسيب لك اللي خلقه ربنا علشاننا، ونهجر نسوانا وعيالنا، ونخرب لك الدنيا اللي أمرنا ربنا نعملها له، وهو غنى عنها وعن غيرها جل جلاله، إحنا محناش عاوزين كلام بعد أن بلغنا المرام، الواحد يبقى ابنه في يده ويدور عليه! كانوا بالجنون يحكموا عليه.

النفس الشهوانية

رويدك يا تهور لا تلوم
لنا أبدى النصيحة باتضحاح
أقام على الذى بيده حججاً
رسول الله أنبانا بهذا
أطعه يا تهور وانح نحوى
ومن يرضى بسخط الله يقلى
نعم يا فكر أنت نصحت مثلى
قبلنا ما أتيت به لأننا
فطاوع يا تهور واتبعنا

فإن الفكر أستاذ حكيم
فنحن نطيعه فيما يروم
مؤيدة بما قال الكريم
وهذا الفكر صديق سليم
فعاقبة الخنا ثم الجحيم
ويهلكه بها الخطب الأليم
وفيما جئتنا الخير العظيم
علمنا أنه النهج القويم
تفز بالخير يأتيك النعيم

ثم تستأذن النفس الشهوانية الرئيس فى أن يأمر الروية أن تقيم الحجة على التهور ليتوسط فى طلبه، ويشرق نور الحق فى قلبه.

رئيس المحكمة سائلاً:

إلى الروية آمالى أبينها
فقدمى النصح بالإخلاص معلنة
ومقتضى الوقت بالتفصيل عينها
فأنت للحجة العلياء معدنها

الروية مجيبة:

سمعت أمرك وهو الخير آمالي
وأنت يا عدل بعد الله ملتجأً
أرى النفوس على اللأواء قد فطرت
أيا نفوساً إلى الإفساد قد جمحت
وسارعى لمراد العقل إن له
وسارعى لاتباع المصطفى فعسى
وفيه من نشأتى ميلى وأعمالى
فداوهم سيدي بالحال لا القال
ولم تخف نقمة من قهر متعال
هيا استقيمي لترقى منزلاً على
عناية بك واعصى كل ختال
تجاورين رسول المنعم الوالى

أيها التهور، لم يخلقك الحق جل جلاله بغير حكمة، وحكمتك أن تكون لك عند إعلاء الكلمة صولة تمحوها كل ظلمة، ومن جهل حكمة إيجاده لم يفز بإمداده، وأنت أيها التهور في حاجة إلى ملازمة الدرس لتزكو منك النفس، ولديها تنتفع وتنفع وإلى مقام الفضائل ترفع، تعلم أن الله شنع على الإنسان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ الإسراء: ١١، في صريح القرآن، ثم أثنى على من جاهد نفسه ليتجرد من العجلة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٣، وهى آية مجملة تفسيرها مكارم الأخلاق رحمة بالرفاق.

يا تهور، أنت مصدر الشجاعة الأدبية ومنبع الإغاثة عند البلية، لو توسطت في عملك لنلت من الله جميع آمالك، ولكنك بعجلتك قد تفوتك القصود، وكم علمتك الحوادث ونبهتك القيود، لا تنال الفضائل إلا بك إن وضعت أعمالك في مواضعها، وبك المجتمع والأفراد تحفظ من مصارعها، إن أنت اتخذتني لك ظهيراً وجعلتني قبل إقدامك وزيراً. اصغ إلى أبن لك سبل سعادتك، واتحد معى أدلك على مناهج هدايتك، فإنى أيها التهور لو اتحدت معك في العمل، أبلغك جميع الأمل، أنت التهور وأنا الروية، وأنا بنجاح آمالك حرية، وأضرب لك مثلاً جلى البرهان، إذا فارق التهور والروية إنساناً انحط عن الحيوان، وإذا فارقت الروية إنساناً صار شراً من الشيطان، والإنسان الكامل من حكم الروية قبل التنفيذ والعمل، ثم نفذ حكمها بالتهور بلا ملل، لديها يسود بين معاصريه، ويحكم في أعاديه محفوظاً من الزلل بعيداً عن الخطل، وبعيشك أيها التهور، هل فاز شجاع مقدم بغير الروية؟ أو رفع بغيرها

عالم إلى رتبة عليّة؟ أو وصل ناسك إلى الله جعل التهور قائده؟ لا... إن لم يجعل الروية مقصده، فاتحد بى اتحاد الشمس بنور البصر والنبات بالمطر، فأنا وأنت كالزيت والشريط للشعلة، وقد نصحتك فاقبل النصح تسعد ومن الله بالخيرات ترفد، هل رأيت متهوراً سيداً فى قومه؟ بل تراه معذباً فى سجنه ولومه. وهل رأيت ذا روية ذليلاً؟ بل تراه رفيع القدر جليلاً. وكل من فى البيمارستانات والسجون من المتهورين الموصومين بالجنون. إذا أنت اتحدت بى صرت مشكوراً من الحق والخلق، مثنياً عليك بالمروءة والصدق، وشتان بين نيل الثناء والعطاء وبين العناء ودم الأعداء، وهل يشتري الإنسان النعمة بالنعمة ويبيع الخير والثناء الحسن بالشر والإحن - بعد فترة صمت - لعل النصيحة بلغت منك مبلغها فقبلت وتداركت أمرك قبل فواته، وللخير عملت والله لا يضيع أجر المحسنين.

الشهوة تقاطع على الروية الكلام، قائلة: هذا كلام أحر من السهام وأقبح من الملام، أتريدين يا روية أن تكونى بلية، أنا أنافس فى ضروريات منافسة السباع وأحتال عليها احتيال الثعالب خوفاً من الضياع، وإن كان لا يرضيك إلا آلامى ولا يريحك إلا أسقامى، فهذا سعى العدو اللدود والشرير المحسود، كيف تقبل نصيحة من يكره الخير ويجلب الشر والضير.

وى يا روية تمنعين عصابتى
مهلا فإنى لا أحول عن الخنا
أسعى لكل مقاصدى بشراهة
لا الصفع يمنعنى عن الإقدام لا
إدراك لذاتى لدى هى المنى
خلى ملامى يا روية إننى
فعل الدناءة يا روية ديدنى
كيف التسلى عن حظوظى وهى لى
المجد عندى أن أمتع دائماً
والعز عندى ملء بطنى من شوى

عن نيل آمالى ونيل مسرتى
عن هتك عرض أو فساد عشيرة
كلبية وبجراة ذببية
كلا ولا سبى بألسن نقمة
لا أبتغى مجداً ومجدى شهوتى
عبد لبطنى بل لكل دنيئة
أسعى إليها راغباً بحمية
جنات أفراحتى وكنز ذخيرتى
بحظوظ نفسى أو أموت بحسرتى
عجل حنيذ أو قديد الكفتة

والبسط عندي خلوتي متمتعاً
لو أن شوهاء خلوت بها لما
كم قد خلوت بمحرم فأبحثها
إبليس يجذبني إليه و همتي
قومي معي تلك الفضائل والعلا
بالفحش كالحنزير داخل حفرتي
أبقيتها حتى أنال ملذتي
لم أخش من قهر وعاجل نقمة
تلقى بنفسى في سحيق الهوة
خل المروءة فهى أكبر ذلة

التهور

ويحك أيتها الشهوة، أنت لا شك لكل بلوة، إن الروية نصحت وسبل الرشد بينت
ومراقى الخير لنا رفعت وأنوار الحقيقة منها سطعت. إن الله خلق الإنسان وسطاً بين عالم
الملك والملكوت، ورفع عن الحيوان بما ميزه به من النعوت، وجعل له مسرة روحانية،
استعلت على المسرات الحيوانية، وكيف ينحط إلى الحضيض من رفع؟ والتعيس من من الخير
إلى الشر رجع.

ما لذة الشهوة التي تعنيها، وما تلك المسرات التي تتفانين يا شهوة فيها؟ وقد يعافها
الكلب إذا لعب مع نظيره، والديك مع سميره، كفاك يا شهوة دناءة، فقد حتمت على نفسك
الإساءة، أفرحت الأعداء وأحزنت الأوداء، تدعوني الروية إلى شرف دونه الملاذ الحسية،
ومجد يفدى بالوالدين والذرية، إلى نيل مسراتنا الحقيقية في دار البقاء، في جوار رسول الله
ﷺ وأصحابه أهل الصفاء، تدعوني إلى التشبه بمن أثنى الله عليهم من الأطهار ومجانسة
من اصطفاهم من الأخيار، أنا يا شهوة قبلت وأقبلت، وعلى الله توكلت، وبحسن عنايته
أنبت.

التهور يلتمس من الرئيس أن يسمح للعفة بالكلام مع الشهوة.

التهور

يا عفة بك الوقاية من الأمراض، وبك تحصين الأعراض.

رئيس المحكمة للعفة:

تكلمى يا عفة، فمن تجمل بك ساد بالفضائل وحفظ من الرذائل، بك يكون لله الوفاء ويصح معه الصفاء، ويدوم بين الإخوان الإخاء، ويزول عنهم العناء، لأنك حفظ اللسان والعينين والأنف والأذنين والبطن واليدين والفرج والرجلين، من الاستطالة في المباح ومن الوقوع فيما حرم الله وعليه الجناح، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور ٣٠، ٣١، وقال ﷺ: (من عشق فغف فمات، مات شهيداً).

العفة

طوعاً لأمرك أيها الداعى، يسر الله لى ولك خير المساعى، إن الشهوة قوية الرأس شديدة المراس ليس لها ميزان ولا قياس، إنما يكبح جماحها حبس الحواس، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرياضة القوية والمجاهدة القهرية، ومتى استطعنا أن نحبس الحس أمكننا أن نقهر الشهوة ونقود النفس، فإن الحس مثير الشهوة وأصل كل تلك البلوة، ولولا العينان ما دخل حسود النيران، ولولا البطن والفرج ما حارب الإنسان أخاه وفي النيران زج، ولولا كبرياء الإنسان ما فتن الشيطان إنسان، فاسمح لى يا عدل وأرودنى وبحكمتك أيدنى، حتى أعالج هذا المريض بحسن تدبير، والشافى هو الحكيم الخبير.

العفة تحاطب الشهوة:

أى أختى لا حرمنى الله إياك فإنك دليل الحياة والعافية، ومتى فقدت فقدت الحياة الراقية، ومن جهل نعمة الله عليه بك فى حياته عذب بعد مماته، وكيف لا... ولا يسعى

الإنسان إلا لما يشتهي، ولو منع عنه بالزواج لا ينتهى، ولو فكرت فيما أدعوك إلى شهوة ما هو خير في نفس الأمر، ليدوم لك النعيم والثناء والأجر، أتظنين أن الأنبياء لا شهوة لهم تطالبهم بما يميلون إليه؟ جهلت فإن الله جعل شهوتهم سواطع الأنوار من لديه، وشهوتهم الاتصال بالحق جل جلاله، وفي هذه الشهوة تحمل سيد الرسل ﷺ ما لا يتحملة أمثاله، وأنت يا أختاه لو اتحدت معي نلنا ما نتمناه، أنت الشهوة وأنا العفة، وبتحاذنا فاز بالخير أهل الصفة، اشتهى يا أختى ما أدلك عليه، فسارعى بكليتك إليه ولا تفارقينى فتشتهى شهوة الحيوان، أو تقعى في حبال الشيطان، وجاهدى نفسك أن تطيعينى، فإن طاعتك لى مجاهدة كبرى فأطيعينى، قال الله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ النساء: ٩٥، إن الله سبحانه وتعالى جمعنا لترتفع إلى أعلى عليين بالجهاد الأكبر فى محبة رب العالمين، فإذا أنت أهملت فأطعت المحس خالفت الوصية، ومن خالف الوصية حرم العطفية، أترضين أن تجعلى المحس إلهاً يُعبد، فتخالفين حكم ربك فى طاعته والمخالف يبعد، اشتهى يا شهوة ما اشتهى أولياء الله الأخيار، وما يسارع إليه الصديقون الأطهار، تفوزى برضاء الله وجوار المختار ﷺ، وكفالك ميلاً إلى الدنى الفانى، لأنك فيه كل بلية تعانى، وشتان بين جوار رسل الله صلوات الله عليهم ومواجهة ذى الجلال والإكرام لديهم، ولسان الثناء فى العالمين والسعادة الأبدية فى الآخريين، وبين العذاب الأليم فى أسفل دركات الجحيم، بسبب سيرك على غير الصراط المستقيم.

الشريعة يا أختاه رياض المسرة وبساتين البهجة، وكيف لا وقد وسع الله لنا فيها وسعة زادت عن كمالياتنا فضلاً عن ضرورياتنا، ويسر لنا فيها كل ملاذنا وحظوظنا، مع الجزاء الحسن فى الدار الآخرة لنا، حتى زهد فى كثير من المباحات النساك والعباد، وتركوا الوسعة وساحوا على وجوههم فى البلاد، وقد عتب الله على من ضيق على نفسه فى السر والجمهور، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥، أباح الله لنا من النساء أربعاً وما ملكت أيدينا، وحرّم علينا الفحشاء والمنكر وما يؤذينا، أحل لنا التجارة والزراعة والعمل، وحرّم علينا الربا والسرقه والكسل، أباح لنا ما نشتهى من المأكّل والمشرب والملبس، وحرّم علينا الخمر والميسر ولحم الخنزير الأتعس، أباح لنا الأنس والرياضة مع الأهل والأولاد

والإخوان، وحرَم علينا الغيبة والنميمة والحسد الموجب للحرمان، لأنه سبحانه وتعالى خلق كل شئ لأجلنا، وهو الغنى عنا وعن عملنا، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

أمرنا سبحانه وتعالى بالصلاة رياضة لأبداننا ونوراً لأرواحنا وتزكية لنفوسنا وشكراً له سبحانه على نعم لا تحصى بها حياتنا، وما هي الصلاة يا أختاه، طهارة لظاهرنا ونشاط لباطننا، واعتراف منا على أنفسنا بأننا عبيد لربنا، وإقرار له سبحانه وتعالى أنه ربنا، وشكر لنعمته علينا. إنا يا أختاه في كل نفس لا نخلو من المضار التي تعجز عنها قوى البشر، فنرفعها للقادر بدموع كالمطر، فإن لم يكن لنا جانب لديه بطاعة أمره والتوكل عليه، لا تطمئن قلوبنا لسوء عملنا، وكيف نعصى أمر من بيده ملكوت كل شئ، ومن مد لنا موائد الكرامة في ظل الرأفة والفيء! لقد أيقظتك يا شهوة من نومة الغفلة ونبهتك من رقدة المهلة، رحمة بك لا خوفاً علىّ، فأنيبي إلى الله وارجعي إليه.

الجبن يقاطع على العفة الكلام، قائلاً:

يا شهوة ما لك وللعفة، ربنا لا له شهوة ولا له ولد ولا له زوجة ولا له جسد، وهو خلق الحاجات دى كلها علشان مين، ليه نحرم نفسنا، إحنا مجانين! إحنا إن لقينا القوة هربنا، وإن لقينا شهوتنا قدامنا أفسدنا، ومين يبقى قدامه ملذاته ويتركها لكلام عدوه بحسراته، إحنا نعمل قدام الناس منكسرين، ونبقى من ورائهم شياطين، نتحمل السب والصفع على القفا علشان ما يحصلش من الناس لنا جفا، فنفسد الأحرار وننهب الأخيار اللي إحنا نقدر عليهم، ولا نخاف العار ولا النار.

سباع نعم، وفضادع وثعالب	تلونا في كسبنا لا نغالب
سباع لدى الفحشاء والزور والخنا	فضادع عند الخوف حين نطالب
ثعالب عند السلب والنهب والجفا	نجادل أهل الحق والقول كاذب
نمرغ أوجهنا على الترب عندما	نرى قوة ونفر والقلب راهب
وتلك سجيتنا ورتنا جميعها	عن الأب والأجداد والطبع غالب
فخلي ملامك واذهبي بسلامة	فمالك عند الأغبياء مطالب

الشهوة تستأذن رئيس المحكمة في الكلام، فيأذن لها فتجيب الجبن قائلة:

أيها الجبن، ما لك ولهذا الكلام، إلى متى نمشى في الظلام بلا وصى ولا إمام؟ أما أن لنا أن نرعوى عن الباطل ونترك عمل الخبيث الجاهل؟ أمسك عليك كلامك فإن الحق أبلغ، واترك الباطل فإنه وبئى لجلج، أما أنا فقد شعرت بنقائصى وأرجو أن أسارع إلى تخلصى.

الشهوة إلى رئيس المحكمة:

يا مولاي نرجو من الشجاعة أن تُقيم للجبن الحجة وتبين له المحجة.

رئيس المحكمة

يا شجاعة أقدمى فالأمر داعى
بينى للجبن منهج رشده
والفتى للرشد بعد الغى ساعى
كى يفئ لرشده قبل النواعى

الشجاعة

للجبن منزلة الإحجام و الهرب
ألقى بنفسى على النيران منشرحاً
إن صاح داعى الهدى لبيت مقتحماً
كأن نار الوغى نوراً يبين لى
والجبن مقصده اللذات يطلبها
شتان بينى وبين الجبن ذاك له
ولى مقام اقتحام الخطب والنوب
كى أنصر الله أمحو ظلمة الريب
نار الوغى باسماً فى بهجة الرغب
رضوان ربي فأسعى والرضا طلبى
من غير كد ولا جد ولا سبب
نار ولى جنة الفردوس بالقرب

أيها الجبن، المقاصد أربعة: لذة وشرف ومال ودين، والجبن أن تترك المال للذة، وتبيع الشرف بالمال، وتضيع الدين بالشرف، والشجاعة أن تترك اللذة لنيل المال الذى ينفع، وتبذل المال للشرف الذى يرفع، وتفارق اللذة والمال والشرف للدين الذى نوره يسطع، فإنك بحفظ الدين تفوز بالمحسنين، بنعيم الآخرة وفى الدنيا بالفضة واللجين، وتسود فى الدنيا بالثناء الحسن وفى الآخرة بالرضا والمنن.

يا جبن، أنت تحسن عند هيجان الشهوة، أو داعى المعصية والبلوة، لا عند المسارعة إلى الطاعة التى هى نعم البضاعة، وبامتزاجك بى يتكون منا ما هو خير وسعادة، من القيام بعظائم الأمور نفعاً وعبادة.

يا جبن، أنت لى وأنا لك، وانفرادك بلاء، وبامتزاجك بى إلى الله قرب ومنة وعطاء، لأنه سبحانه جعلك للخير، فتوسط يا جبن فى السير، ولا تخف إلا ذنبك ولا ترج إلا ربك، فاحذر أن تقع فى الذنوب فالذنوب كروب، واتبعنى أهدك سبيل الرشاد، فإنك إن تبعتنى كنت لى درعاً داودياً وكنت لك سيفاً هندياً، وكنت أنا وأنت بين إقدام على عظائم الأمور لنيل رضا المولى، وبين إحجام عن سفاسفها خوفاً من عقوبة العلى الأعلى، وبذلك ننال خيرى الدنيا والأخرى، ونفوز بالثناء الحسن والنعم الفاخرة.

يا جبن، أجهلت أن ما قدره الله يكون، وأن ما هو مكتوب على الجبين تراه العيون، فلم الجبن الذى يوجب الخزى والعار، ولم الإحجام عن الإقبال على الله بالنفس والمال كالأخيار، والتقاعد عنها المؤدى إلى عذاب النار.

كن جباناً عند المعاصى أو أذية الإخوان، أو عند القدرة على الضعيف ومضرة الحيوان، وأقدم على طاعة الله ولو كانت الطعن بالسنان، فإنما الأمور بعواقبها والأعمال بنتائجها، والجبن خوفاً من الموت مع الخزى والذلة شر ولا شك، والخير الموت لإحياء الملة ومن لم يميز بين خير الخيرين وشر الشرين فهو جماد لا حس له ولا عين، نصحتك يا جبن فاتحد معى، وخير نصوح لك الألعى، قال الشاعر:

الألعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

البخل يقاطع الشجاعة:

ما هذه السفسطة والأباطيل، والزندقة والأضاليل؟ هو إحنا لنا كم نفس وفى السماء كام شمس، إحنا نحفظ أنفسنا وأموالنا، ونسير فى الدنيا دى حالنا، بعد راسى إن شا الله ما كانت راس، ولا حد للملك ساس، هو إحنا نذل أنفسنا لحد صفع النعال، لنسلب من الناس

الأموال ونهبها حرام ولا حلال، ونروح نضيعها لك علشان الفقراء والأيتام، وتأسيس المساجد والبيوت للأسقام، ونبذها لأهل العاهة والأمراض، هو إحنا مجانين ولا أرفاض، إن شا الله كل الأيتام ما اتربوا ولا أكلوا ولا شربوا، هو إحنا كنا ربنا اللي خلقهم، وليه ربنا ما يرزقهم، إذا كان الرجل الطيب يوم القيامة يقول: يا رب نفسى. كتر خيرى أنا اللي فى الدنيا أقول نفسى وعرسى، أدبنى بوكل مراتى وباقضى حاجتى.

الجبن يعتب على البخل:

يا بخل مهلاً واصغ للقول المفيد
إن الشجاعة بينت سبل الهدى
إنى أتحدث بها وأبت لخالقى
الحق بينه النبى محمد
من يتبعه يفز بفضل دائم
قد جاء بالقرآن يهدى داعياً
أقبل بكلك ناهجاً نهج الهدى
والحق أبلج فاتبع نهج الرشيد
فأقبل وقيت الشر من فعل العنيد
أبغى رضاه وأرتجى نيل المزيد
أقبل ودع أعمال شيطان مريد
فى جنة الفردوس فى عيش رغيد
لله رب العرش مولانا المجيد
تعطى المسرة فى مقامات العبيد

الجبن يلتبس من رئيس المحكمة أن يأمر الكرم بالتكلم مع البخل حتى يوضح السبيل
ويقيم الدليل.

رئيس المحكمة

أيها الكرم المفدى بالنفوس
أنت محبوب لمولاك العلى
من يكن متمسكاً بك يعط ما
أنت وصف المرسلين وحلية
بيناً للبخل منهج خيره
أنت نور مشرق فوق الشمس
بغية الأمناء تاج للرهوس
يرتجى من سؤدد أو دروس
إن تنل تمح الشدائد والبؤوس
كى ينال سعادة بعد النحوس

الكرم

ألبيك تدعوني إلى الرشيد والخير مجيباً لما تدعو إليه من السير
سأكشف للبخل الحجاب مبيناً له منهج الخيرات من غير ما ضير
عسى يرعوى عن غيه متجماً بعمل السخا ويؤوب عن عمل العير

ثم يلتفت إلى البخل، قائلاً:

أنت يا بخل تحسن في مقامات حفظ العرض والشرف والدين، فتكون وسيلة لنيل رضا رب العالمين، ولديها تكون فضيلة من الفضائل، وقد أثنى عليك الأوائل، ما أريد أن تفقد من الإنسان، فإن البخل فضيلة في النسوان، ويجمل من الرجال عند المحافظة على الثمين الغالى، من عرض وشرف ودين عال، ويقبح البخل عند ضياع العرض لكسب المال، وبذل الشرف لتحصيل النوال، ويبيع الدين لحفظ النفس والعيال، فإن العرض يفدى بالمال، والشرف يفدى بالسيادة ونيل الآمال، والدين يفدى بالنفس والمال والعيال، وأحمق الحمقى من وضع الشيء في غير موضعه، وأدفاً الثعبان في مضجعه، فلم عدلت يا بخل عن معارج العلياء إلى دركات البلاء، وما ساد بخيل عشيرته، ولا شرف قبيلته، ولا يجمع مال وسيادة، وكيف يبلغ البخيل مراده، ومن بخل بماله وقع في وباله، ومن بخل بصحته أن يعمل الطاعات ألقى به بخله في هوة البليات، ومن بخل بنفسه في نصره الله عز وجل حل وباله وساءت أعماله، فلا تفرح بمال تدخره، يدوم به العذاب ويزول فخره، أنت يا بخل سبب عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، وسبب هلاك النفوس بالأسقام، وسبب الحسد والشحناء والحرب والعناء، ما شيدت السجون، وطرقت الأغلال إلا للبخلاء الأندال، يبخل بصحته على العمل ويسرق، وبماله على الزوجة ويفسق، ويبخل على الوالدين ويسرف على الأخدان، فأنت يا بخل لا شك شيطان، وجودك مع التوسط نعمة، لأنك تحفظ على المؤمن دينه فيحفظ من النعمة، فاتبعنى يا بخل حتى نتحد في العمل، فتكون حصناً من الزلل ونكون وسطاً ونعمل بلا ملل، فإنى أنا الوسط بينك وبين الإسراف، ومن ينفرد عنى يقع في الإلتاف، يا بخل نور الحق أشرق فاهتد، ومن بالحق لا يهتدى ففى الجحيم يرتدى، وليس بعد العيان بيان، ولا بعد وضوح السبيل دليل وبرهان.

الغدر يقاطع على الكرم الكلام قائلاً:

أنت يا كرم مفسدة الأموال ومضيعة العيال، تذلل أهل الفضل للثام بالسؤال، والسرور بك أوهام، لأنه ضياع للموجود وفرح بالكلام، اجلس فالنصيحة أولى ما يباع ويوهب، فإن المغرور بالكلام يسلب وينهب، كل شيء تراه في النهار فالفلوس أحسن منه بالاعتبار، وكل شيء تراه في الليل فالنوم أحسن منه ولو كان ذهب وخيل، واللى يفرح بكلام الناس يبقى خربان الراس، كرم إيه الكرم ده، دا الفلوس يا شيخ أحسن من ده وده، إحنا بنروح نسلب عقول الناس بالحشيش والكاس، ونبقى لهم زى الخناس الوسواس علشان نسلب منهم الأكياس، وكثير ساعات الغدر يزين لهم النساء العاهرات اللى مصابن بالأفرنجى والعاهات، ويقول للمجانين دول نسوان الذوات، والواحدة من دول ضاربة وشها تفته حمرا مدارية جروح التشويش، ويترك المغفل العفيفة المصونة، ويروح للخبيثة المشوشة اللى لا فيش ولا عليش، الغدر يخليه يضيع دينه وعرضه وماله ويرجع بالسيلان أو اليرقان، أو بضعف القلب أو مغص الكبد وفي البول حرقان، فاللى يقدر يضيع من الناس دينهم وعرضهم ومالهم ويفرحهم بفقرهم وضلالهم، يبجى الكرم يقدر عليه؟ يا كرم سيبك أنت من ده كله، ما دام الواحد جيبه مليون ودماعه عمران ويغدر بالمجانين والنسوان ويسلب منهم الأموال بالبهتان، يروح لك يضيع ماله على الخيرات، ولا يصرفه علشان بعد ما يموت يدخل الجنات، هو أنت يا كرم لو كنت تعرف الحقيقة ما كنتش تتركنى ولا دقيقة، دانا كل ليلة يترجاني خمسين من الوارثين ويتملق لى فى كل الساعات شر الباغيات، دانت يا كرم تبقى زى الملك الوارث دا داخل ودا طالع، والخير من المأكولات والمكيفات متواصل، وإن شئت أن يكون لك ميت مرة ولا حدش يقولك إيه اللى جرا تجد كل شهواتك ميسرة، والناس المجانين دول اللى بيعذبوا أنفسهم ما لك وما لهم، هما الوحوش اللى فى الغابات بيحرموا أنفسهم من الم لذات، أنا شفقان عليك.

الواحد يضيع الأوقات ويحرم نفسه من الشهوات دا يبقى زى الأموات، دا كان زمان ما حدش ينظر لغير مراته، ولا المره تشوف غير جوزها طول حياتها، ودى الوقت من نهار ما ظهر الفساد وكتر أهل العناد، شوف أكثر النسوان عيانين بالسيلان، وانت بتشوفهم يطلعوا

في الأسواق وجسمهم عريان وماهوش كفاية عليك أنهم خالفوا القرآن، ربنا يقول في القرآن العزيز: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^{النور ٣٠}، وهم الناس اللى بيقولوا إحنا مؤمنين لا حفظوا فروجهم ولا غضوا أعينهم، والشيطان لعب عليهم، والنسوان ماهوش أخفوا الزينات دول كشفوا في الأسواق العورات، وأفسدوا الرجال بالملاعبات، اتبعنا يا كرم أحسن لك وإحنا نحب لك الخير لعلك.

البخل يصيح على الغدر:

الغدر تطرف في الكلام، فحقه الطعن بالسهام، كاد يخدع الكرم ويهتك الحرم، ويكشف الستار عن الأحرار. يدعوك الكرم إلى شمائل الأتقياء وصفات الأولياء ودفع الغمة عن أفراد الأمة، والغدر يأبى إلا سلب الأموال وضياع العيال، وهتك الحرائر وإفساد السرائر، ويل للغدر ما أضره، ولا حبذا الغدر ما أشره، يقيم الحجة على الباطل ويحسن ما عذابه واقع ونعيمه زائل.

أيها الرئيس إن الغدر تعيس، فارجمه بشواظ من نار وامح بإعدامه العار، فقد أفسد الرجال والنسوان وأوقع الكل في الخسران، وإلا فأمر العدالة أن تردده عن غيه، وتدفع عن الناس ضرر بغيه، فأنت العدل المرجو بعد الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رئيس المحكمة يخاطب العدالة بما بينها من المناسبة:

أيتها الفضيلة التي هي أم الفضائل، وبك سعادة المجتمع والأفراد في العاجل والآجل، أنت الوسط الذي أثنى الله به على أهل محبته، وجعله أس شريعته، كل فضيلة من غيرك رذيلة، وبك تظهر أنوار الحق وتستبين سبيله، إليك أوجه كلامي وأقدم لك احترامى بعد سلامى، أبينى لنا فصل الخطاب وقررى الرأى الصواب، أن للإنسان الذى كرمه الله فى القرآن أن يعلم مقداره المعنوى بالعيان أو بالبيان، حتى يخشع قلبه لذكر الله ويسارع لمحابه رضاه، ويعيش مع أخيه الإنسان فى بهجة وأمان، بلا طمع فيما يزول ولا منازعة تحرمه الوصول، فقد جهل الإنسان قدره واختلف عليه سيره، وجهل نشأته الأولى وأمره، فأصبح

يعادى الإنسان ويصافى الوحوش المفترسة والشيطان، فعسى أن يفى إلى أمر الله لينال السعادة في عقباه.

العدالة

ألبيك يا عدل اتحاداً على العمل
من الله جل جلاله نرتجى الصفا
ومنه تعالى نستمد لأنه
وكل فتى آوى إلى الله مخلصاً
نعم أنت يا عدل الإمام الذى به
ونحن نعم سيان سراً وظاهراً
لنبلغ ما نرجوه بالصدق من أمل
فربك يعطى الخير من منه قد سأل
يجيب الفتى المضطر في الحادث الجلل
ينال الأمانى وهو عندى هو البطل
خلاص الفتى من ظلمه إن هو انخذل
ولم يعرنا في نصرة الحق من ملل

يا عدل، أنا العدالة فضيلة الفضائل، لا يتجمل بى الفتى إلا أن يتجمل بالعفة والحكمة والشجاعة بعزم متواصل، ومن تعرى من فضيلة من تلك الثلاث المذكورة، فأنا عليه من غير شك محظورة، وكيف لا وبى ميزان الخيرات، لأنى أنال إذا توسطت القوى وصحت البدايات وانقادت كل نفس للنفس الملكية، مسارعة إلى رضاء رب البرية، حتى يكون كل فرد يختار الإنصاف من نفسه على نفسه أولاً، فالانتصاف والإنصاف من غيره ولغيره عاملاً لا قائلاً، لأن مراعاتى لا تتحملها إلا النفوس الزكية، والأبدان الطاهرة من دنس البهيمية، وكيف لا والعدالة أن نطيع الله فيما أمر، ونرضى عنه فيما قدر، ونديم شكره على ما أنعم، ونجعل ذكره سعادة لنا ومغرم، ونزهد في الدنيا الفانية مسارعة إلى الخيرات الباقية، اسمح لى أيها الرئيس أن أبين للغدر سوء عقباه، إن لم يتحد مع العدالة في دنياه، ثم تلتفت إلى الغدر.

أيها الغدر: تعلم أن الوفاء بالعهود والأمانات من أكمل الصفات، به يعز المرء في الدنيا ويكرم في الأخرى. أما العز في الدنيا فبما يناله الإنسان من ثقة الناس به حتى يكون سيد قومه، فيأتمنونه على أمواهم وأعراضهم ودينهم ويساعدونه بأنفسهم، فينال حسن الثناء منهم والغنى بهم وعنهم، أما الكرامة في الآخرة فمن الله تعالى بشهائله الفاخرة.

يا غدر، اعلم أن ما قدره الله أزلماً كائن فعلاً. وكم من غادر حرم قوته لما قبحت نعوته مع الحيلة والدهاء والشيطنة والعناء، وكم من وفي عاجز نال مناه بوفائه ورضاه، ومن نال ما قدره له الله بعمل شر أو خبت أوداه، ولا ينال إلا ما سبق له في الأزل مهما احتال في العمل.

انظر يا غدر إلى الوفي كيف تقبل يدها ويعظم عند من يلقاه، وانظر إلى الغادر تراه مبغضاً عند الناس حليف الإفلاس، وإن جالس الناس خافوا من غدره لعلمهم بحقيقة أمره، الغادر يخون الأمانات ويسئ المعاملات ويفسد الأعراض، ويضيع عمره عن الله في إعراض، فيعيش في الدنيا في خزي وهوان والله عليه غضبان، وهو من الناس في حرمان، فإذا مات ألقى في النيران، ما الذي يناله الغادر بغدره بعد بيع الدين والشرف، وضياع الجاه والمنزلة بسوء الخلف، يبيع الغادر الجواهر بالتراب، فيغضب الله ويحرم الثواب، ماذا ينال بغدره؟ ينال ما لا ينفعه، أو عمل شر لا يرفعه، أو هتك عرض أو تمن عليه فيضيعه. الغادر عدو نفسه لأنه يؤذيها، ومبغض لصحته لأنه بسوء عمله يبليها، ولو تصور الغدر قبح أعماله التي بها خيبة آماله، لتمنى في الدنيا أن يكون تراباً قبل أن يذوق عذاباً، وهل لو أساء الغادر إلى غيره، هل هذا العمل يسره؟ فكيف يكره الشر من غيره ويصر عليه في جميع سيره؟ وبالوفاء تنال السعادتين وتفوز بالحسينين، فاتحد معي أدلك على ما به نيل أملك، إن طلبت منك نفسك ما حرم الله يجب غدرها حتى تفنى إلى أمر الله، وإن عاهد الغدر على فعل شر غدر وفر، أو واثق على فحشاء وخيانة غدر وكبح عنها عنانه، وهنا يحسن الغدر والله ولى المؤمنين ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فقل يا غدر: يا رب أخطأت فارحمني وبفضلك فاعف عني. فإن المعترف بالخطيئة مغفور له ويعطيه الله منه ما أمله.

الحس يقاطع العدالة قائلاً لها:

أتخدعين الغدر بزخرف قولك وتضرينه بفعلك، وهو فارس ميدان الخداع وأحرق من النار في سلب المتاع، تريدين يا عدالة المساواة في المنفعة وهي للشهوات والملاذ مضيعة، وهل علمت مقدار من يكلمك.

أنا المحس معبود لكل جهول
ومن جنة الفردوس أخرجت آدمياً
وفرعون قد أغويته متكبراً
ونمرود قد أضلته ولم أرعوى
وهامان قد شاد المباني محارباً
أنا المحس معبود بزور وباطل
أضل بالبهتان والزور والهوى
أنا المحس أخفى الحق بالباطل الذى
وأنت العدالة لا تميلين لى ولا
ومن يتبع جهلى يعيش ممتعاً
وإبليس من جندى أمام سبيلى
عصى ربه طوعاً بغير دليل
على الله حتى ذم فى التنزيل
فكيف أخاف الغدر فى تضليلى
لمولاه بالبهتان والتعليل
وأكسف شمس العلم نور عقول
وأفسد أهل العلم بالتأويل
تميل إليه النفس بالتحويل
ترين سبيلى منهج التحصيل
بسلب وفحش فى لظى التضليل

أنا المحس لولاي ما سفكت دماء الأبرياء ولا كشف الستر عن المصونة العصماء، ولا تلذذ أهل الجهالة فى تلك الدار الفانية تلذذ البهائم السائمة، بل ولا عبدت شمس ولا قمر، ولا تمثال صنع من حجر.

أنا المحس حجت عن الآيات الجليلة أهل النفوس الدنية، يقول الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الآيات ٢٠، ٢١.

وأنا أرى الرجال جمال النساء، فأفتنهم بهن عن شكر الآلاء، وأرى النساء قوة الرجال فيفتضحن فى نيل الوصال، ويغفل الجميع عن المنعم المتعال، فإذا كنت أخفى آيات الله وبيناته وأبعد المفتونين عن نيل مرضاته، كيف تخدعنى العدالة بعد أن أبعدت الناس عن ذى العزة والجلالة، يأمر الله فيخالفون أمره، وأمرهم فيطيعوننى جاهلين قدره، أفسدت العقول وأضلت الفحول، الحسد والعداوة والشحناء بعض ما أوقع فيه من البلاء، ولولا ما بينى وبينك من الصلة لجعلت لك الحضيض منزلة، فاذهبى بسلام واتركى الملام.

الغدر يصيح على الحس:

رويدك، فقد خرجت عن النمط الأوسط في جدالك، واتق الله ولا تتطرف في أقوالك.

يا حس كنت بدار الخلد مسروراً
أغواك إبليس حتى صرت متبذراً
أهبطت للأرض في كد وفي تعب
يا حس كنت بدار الخلد في نعم
يا حس قم فارعوى عن كل لائمة
إن لم تبادر إلى مولاك ملتجئاً
هلا ارعويت وفي الأيام مرودة
يا حس دنيك ذى دار منغصة
خير النبيين بشرنا وأنذرنا
يا حس أقبل على مولاك ملتمساً
يوليك مولاك عطفاً من حنائه
هذى نصيحة ذى صدق وذى ثقة

تشاهد الجنة العلياء والهورا
أخرجت آدم مذموماً ومدحورا
راض ببعذك مرذولاً ومغرورا
يبدو لك الحسن تنزيهاً وتصويرا
أسرع إلى التوب يقبل منك تعذيرا
يا حس تدخل نار البعد مسعورا
من قبل عزيز حيث تكون مقهورا
فانهض إلى الله تضحى ثم مأجورا
في محكم الذكر فاقراً دمت منصورا
تشهد غفوراً فكن بالشرع مأمورا
تحيا سعيداً بدار الخلد مجبورا
أولاكها ويرى الإحسان موفورا

ثم يلتفت الغدر إلى العدل، قائلاً:

مولاي، نجح الله آمالك وقرن بالقبول أعمالك، تلتف بتلك القوى المتباينة، ولا يستفزناك يا مولاي سوء المعاملة في المعاينة، فأنت حريص على الخير، وتفضل فكلف النور يبين للحس شروره ويوضح له غروره، ويرده إلى النمط الأوسط، ليسلك على النهج القويم فقد أخط، واعلم يا مولاي أن صبرك على شرور أعمالهم، ينتج تحسين حالهم، وقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة ١٥٣.

رئيس المحكمة

يا نور بين لنا المنهاج واضحة
فالحس في غمرة لاه وفي شره
يا نور أنت ضياء السالكين لهم
أظهر أيا نور منهاج الحبيب لنا
للحس وامنحه إحساناً وعاطفة
لا يرعوى بين المنهاج ظاهرة
أبدت نهج الهدى بالحق ساطعة
كى تهتدى أنفس تضحى مشاهدة

النور

يا عدل أبشر فظلمات الهوى محيت
لاح الضياء نبه الأفكار أيقظها
كل النفوس ارعوت عن غيها وغدت
الحق أبلج لا يخفى وإن حجبت
والحس يعلم أن الغى آخره
أمهله يا عدل حتى تستبين له
والنور أشرق منه الآى قد سطعت
والآى آى الصفا للقوم قد وضحت
تسعى إلى الحق بالإقبال واتحدت
أنواره ظلمات الحظ أو سترت
نار لقد سعرت بالعدل واتقدت
آى القران فأى الذكر قد شرحت

يلتفت إلى الحس قائلاً:

أى أخى، كنت تستضىئ فى الفردوس بنور الجمال الربانى، سابحاً فى الملكوت مشاهداً ما به الأُنس بالعطف الرحمانى، فلا ترى عيناك إلا حقاً جلياً أو جمالاً باقياً علياً، ولا تسمع أذنك إلا سجل المسبحين من ملائكة السماء، أو ترتيل الروحانيين بالحمد والثناء فى بهجة وإيناس، لا وصب فيها ولا إلباس.

يا حس، ما لك نسيت تلك المسرات، وتسليت بالشرور عن الخيرات، تستبدل الاستضاءة بنور الله فى ملكوته الأعلى متنعماً برضاه، بالاستضاءة بنور شمس السماء حيث الكد والعناء، تأنس بالفانى وتبتهج بالأمانى، وتنصرف عن ذى الجلال والإكرام إلى عبادة شهوتك والذل للثام، يا حس تذكر من بيديه صنعك وإلى رياض الفردوس رفعتك وبخطيئة إلى الأرض وضعك، أخرجت يا حس من الجنة بخطيئة فكيف تطمع فيها مع كثرة

الخطايا، هل نسيته أم تناسيتها، هلا تذكرتها فذكرتها، كيف ترضى بالدنى وتسارع إلى الوبى، وترى ملء البطن وستر الجسم ووطء النساء هو السعادة والهناء.

جهلت يا حس، وما كان لك أن تجهل، وكيف لا ولا بد لك عن تلك الدار أن ترحل إلى دار الإقامة في منزلة الكرامة أو في محل للندامة، أعط يا حس لكل وطن حقه، فقد رأيت فيها من الفناء برقة، ليست السعادة ملء البطن وتجميل الجسم والأنس بالنساء، هذه سعادة الوحوش الراتعة في الخلاء، أما سعادتك يا حس فهي روحانية ومسراتك وبهجتك ملكوتية، فحصل الزاد بالمجاهدة، حتى تفوز بعد الأوبة بالمشاهدة، يا حس تذكر نشأتك الأولى، يوم تجلى لك مولاك، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^{الأعراف ١٧٢}، أكرمك وناجك، واستضى بنور الشمس في سيرك وحركاتك الجسمانية، واستضى بنور عقلك الذى يعقل عن ربك في سيرك إلى إقامتك السرمدية، وتذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^{الأفقال ٢}، وقوله سبحانه: ﴿قَبَشْرَ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^{الزمر ١٧، ١٨}.

واعلم أن الله غنى عنك، ولكنه رؤوف رحيم، بين لنا سبحانه وتعالى سُبُل الهدى، لأنه كريم حلیم. فاتق الله وسارع إلى مغفرة من ربك وجنة عرضها السموات والأرض، وارحم بقية القوى المتحدة معك من شرور أعمالك ومن فساد آمالك، ولى نصيحة لك منفرداً أبديها لأنى عن المجتمع الآن أخفيها، أذكرك فيها بنشأتك الأولى والآخرة، حتى تعلم منزلتك في مراتب الوجود بصريح الآية الظاهرة، لأنك متى علمت من أنت مقداراً أعلنت التوبة جهاراً، وندمت على ما واجهت به مولاك، الذى أمدك بالإيجاد وبإحسانه والاك، وأعد لك إن أنت أقبلت بإخلاص عليه، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لديه. يا حس غذاؤك المسرات، وكماها أن تكون باقية بلا آفات، نيلها بالإقبال فى تلك الدار على عمل الباقيات الصالحات، فإن هذه الدار فان نعيمها، فى عناء سليمها وفى شفاء سقيمها وفى كد غنيها وفى كرب فقيرها، لا يصفو عيشها لذى مال، ولا يصفو صفوها من شوب الوبال، وردت إليها عرياناً خارج من ضيق، وتخرج منها عرياناً بلا زاد ولا رقيق، يعكر

صفاءها الموت ويكدر هناءها الزوال والفوت، فأين المسرة التي تنشدها فيها، إذا تذكر
الحس أنه منقول إلى دار يُحاسب فيها.

يا حس أذكرك فاذكر، وأنبهك إلى نعم مولاك فاشكر لا تكفر، وأيقظ قلبك إلى ما أعده
لك الله من الملك الكبير، فسارع ولا تنفر، يا حس النصح يطاع ويجب له الاتباع، خصوصاً
إذا ذلك على الحق و بين لك الطريق بالصدق، والمحجة أنوارها ساطعة والمُحجة أضواؤها
لامعة، فأسلم وجهك لله وحده وكن بالإخلاص عبده، يمنحك فضله ورفده.

استحسان عام، ويترنم الجميع بتلك الأناشيد:

بشرى لنا زال الجفا	حل الهناء وافي الصفا
زال الخلاف وأشرقـت	شمس اتحاد الاصطفا
قد ذل إبليس ولاح لنا الهدى	حيث النفوس تشفعت بالمصطفى
نور الوجود محمد الهادى الذى	من يتبعه يكن مراداً منصفاً
عدنا إلى نهج الحبيب محمد	بالصدق والإخلاص نرجو من عفا
أن يبدل التفريق بالجمع الذى	يجلو به الإقبال فى نزل الصفا
بشرى لقد فرح الحبيب محمد	بالاتحاد وقد شربنا قرقفا
دار الشراب شراب حب محمد	أحيا النفوس تنال منه الشرفا
الحمد لله على نيل الهدى	والشكر لله لنيل الاصطفا

العدل

إن ما يجب علينا من الشكر لله تعالى على عظيم نعمته وجميل منته، ما لا نستطيع أن نقوم
به إلا بمعونة منه سبحانه وتعالى، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنى أشعر من نفسى أن
الأفراح ستعم كل الوجود فى النظام الشمسى من مُلك الله وملكوته وعوالم قدسه وجبروته،
فله الحمد والمنة، حيث ألف بين النفوس وأحيا السُنَّة، وجمعنا على القيام له سبحانه بالوفا،
ومنحنا سبحانه وتعالى بفضله الصفا، وإنى ألتمس من أعضاء محكمة الصلح العالية،
وأخص منهم قاضى الحنانة الوافية، وهو سيادة الرحمة، أن يبين للنفوس فضل المنعم الوهاب

العطوف الرحيم التواب، ووسعة رحمته سبحانه وتعالى، وقدر حبه لحبيبه ومصطفاه ﷺ.

إبليس يقاطع رئيس المحكمة قائلاً:

يا عدل إن سبب تلك النعمة إبليس، ولكن الإنسان كفور تعيس، لولاه لما فاز الإنسان بالتوبة والغفران، ولا حظى بمحبة الله والإحسان، فاشكروا إبليس الذى بسببه نيل الرضوان، أتعب فى إخراج آدم من الجنة إبليس نفسه، فأكرم الله آدم بالتوبة ورد إبليس بالنعسة، وأفسد النفوس فأغواها فلعنه الله وهداها، فلا إبليس التعسة والهوان واللعنة والحذلان، ولمن اتبع سبل الهدى الجنة والرضوان بعد التوبة والغفران و...

النفوس كلها تقطع على إبليس قائلة لرئيس المحكمة:

لا تصغ لقول إبليس فإنه لعين تعيس، أخبرنا الله تعالى أنه أعدى عدونا، فكيف نتخذه وكيلنا، كفرنا بإبليس الطاغوت، وآمنا برب العالمين ذى العزة والجبروت.

ويؤلمونه صفعاً على القفا، ومن شدة صفعه بالنعال اختفى، ثم تنشد:

قد وضح القرآن منهاج الهدى	نفسى لمن يدعو لمولاي الفدا
حاشا نميل إلى الغواية بعد أن	لاح الضيا فمحا الضلالة والردا
إبليس يدعونا إلى الكفر الذى	يلقى بنيه فى جهنم سرمدا
تبنا إلى الرب الغفور لعلنا	نحظى بفضل الله نحيا سعدا

الرحمة

إن رحمة الله وسعت كل شئ، فأقبلى أيتها النفوس بكليتك على، فإن الله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب جل جلاله المتطهرين، فأبشركم بمحبة الله إذا أخلصتم فى التوبة وبنيل رضاه، وهلم أيتها النفوس فقولى معى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف ٢٣]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر ١٠]، أحسنت إلينا وأسأنا إلى أنفسنا، وتدبرى أيتها النفوس

قول ذى الجلال والإكرام جل علاه: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ الزمر ٥٣، ٥٤.

أيتها النفوس، إن الله تعالى افتتح إيجادكم برحمته وأمدكم بسوايغ منته، وهو الغنى في ذاته وأسمائه وصفاته، الظاهر للنفوس والعقول بالآئه وآياته، لا تضره سبحانه وتعالى المعاصي وإن عظمت، فهو يغفر كبائر السيئات لمن شاء فضلاً منه وكرماً، ويبدلها حسنات إحساناً منه وحلماً، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

فأقبلى أيتها النفوس متيقنة من الله بالقبول، وأنبيى إلى الله بالإخلاص تسعدى بالوصول، فإن أحداً لا يمكنه أن يضر الله ولو ملأ السموات والأرض ذنوباً، ولا يمكن أن ينفع الله ولو ملأ السموات والأرض إحساناً وتقريباً، لأنه سبحانه وتعالى هو الضار النافع، وهو جل جلاله الخافض الرافع.

كنت أيتها النفوس عدماً، فأنشأك النشأة الأولى بحنانه، وسيعيدك إلى النشأة الأخرى بصريح قرآنه، وقد تبينت لكم المحجة، ووضحت لكم الحججة، فاسلكى أيتها النفوس سبيل الله القويم وانهجى صراطه المستقيم.

النفوس فى نشوة وإنصات، ثم تسمع همسات الاستحسان والتسليم.

رئيس المحكمة العدل ينزل من على كرسيه إلى مستوى العامة، وينادى بأعلى صوته قائلاً:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ الحجرات ١٣، وقال ﷺ: (المسلمون متكافئون يسعى بدمتهم أديانهم على أعلاهم، وهم يد على من سواهم)، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، وإنا والحمد لله قد ظهر الحق لذى

عينين، ومحا الله البين من البين، وأصبحنا كما قال ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، ومعنى ذلك أن كل فرد من أفراد المسلمين ككل عضو من أعضاء الجسد، وأن المجتمع الإسلامى لكل فرد كالجسد لكل عضو، وقد أدركنا مقدار البلايا التى أصابت المجتمع والأفراد بسبب التفرقة، وكيف لا ندرك تلك الآلام وقد أوهنت الشحم والعظام، أين هذا المجد والعز الذى لا يُضام، وأين هذا العفاف والصون والمُلك الذى لا يسام؟

أذهبت التفرقة حتى صارت النقائص كمالات والرزائل مستحسنات، وصار العامل بتقوى الله مهاناً والذال على الخير مداناً، والمتشبه بالبهائم السائمة ناهياً مهاباً، والفاحش الفاجر عند الناس محترماً مثاباً. عجباً عجباً، كيف يرضى المؤهل لمقعد صدق عند مليك مقتدر أن يهوى فى الدرك الأسفل من الشرر المستعر، والدنيا قد آذنته بزوالها وأعلنته بمن فى القبور برحيلها، وكم من قصور خاوية رحل أهلها إلى القبور مفارقين الدار الفانية، فلا لوم على الدنيا وقد أعلنت بمصيرها، ولا لوم على الشيطان بعد أن بين الله عداوته للنفوس فما هى معاذيرها؟

فسارعى أيتها النفوس لمحباب الملك القدوس، وراقبى أيتها القلوب عظمة علام الغيوب، وتدبرى قول رسول الله ﷺ: (كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعنى فقد دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى).

النفوس تنادى بصوت واحد:

قد سمعنا وأطعنا، فبين الصراط المستقيم، فإننا بالله اعتصمنا وعليه سبحانه توكلنا.

رئيس المحكمة يعود إلى كرسیه:

الحمد لله الذى شرح بالاستقامة صدورنا، وإنى أطلب من الهدى والتوفيق أن يبيننا للنفوس مناهج الخير، ويوضحا لها سبل السير.

الهدى

أيتها النفوس، إنى أهنتكم بفضل الله وبرحمته، وبإحسانه ومحبته، اعلموا أن نجاته غير المسلم في الدنيا بالنطق بالشهادتين والمصارعة للقيام بأركان الإسلام بلا مین، ونجاته في الآخرة إخلاص دينه لله رب العالمين، حتى يكون من المؤمنين، ونجاة المؤمنين لا تكون محققة إلا بالتوبة، وأساس التوبة محبة الله تعالى، حتى تصح إليه سبحانه وتعالى الإنابة، وتصح له برسول الله ﷺ المعية، ومن تاب طامعاً في الجنة أو خائفاً من النار، فهو أجير سوء لا عبد للمنع الغفار، وإنما تقبل التوبة من عبد عظم الله وحقر ما سواه، وأقبل بكلية عليه يبتغى فضله ورضاه، فإن الله تعالى وهب لنا النعم التي لا تحصى، والآلاء التي لا تستقصى فضلاً منه وكرماً، فهو العلي العظيم المتفضل، ونحن العبيد الأذلاء، المضطرون إلى الله تعالى في كل نفس، كيف نعبد له لعله وغرض، أو نخافه وقاية من العقوبة أو دفعاً للمرض؟ فهلما بنا نتوب إلى الله توبة نصوحاً، حباً لله سبحانه وتعالى حتى يكون إخلاصاً صحيحاً، وكل عبد تاب إلى الله سبحانه عند الشدة أعطاه ما يريده وعن حضرته رده، وكل عبد تاب إلى الله تعالى ليفوز بالجنة، يقول الله له: يا عبدى عظمت الجنة ونسيت ذا الإحسان والمنة.

وكمال التوبة أيتها النفوس أن تستبدلى الضحك في الغفلة بالبكاء، والشبع في المعصية بالجوع والعناء، واللذة في المخالفة بالألم لنيل الصفاء، وتستبدلى ترك ما أمر الله جل جلاله به بالمصارعة إلى طاعته تعالى، ومن تاب لبلية أصابته أو مصيبة إلى الله تعالى اضطرت، فهو فرعون زمانه وهامان أوانه، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ^{فاطر ١٥}، وعجباً لفقير مضطر إلى الله يواجهه بما يكرهه ولا يرضاه، والعلی الكبير المتعال يفيض نعمته وإحسانه من غير سؤال، فسبحانه من صبور حلیم، وبئس العبد عبداً يعصى قوياً قادراً بظاهره وخفيه عليم، ينسى الموت والبلا ويختفى ويعصى الله ويظن أنه في خلا، والله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ^{الحديد ٤}.

أسرعى أيتها النفوس بالتوبة إلى الله وخافى يوم لقاءه، فإن الموت لا يدرى متى يحل، والسفر طويل والزاد قليل، وكم إنسان خاط ثوبه فكفن فيه، وجمع ماله فقيل له انتقل إلى

القبر لتلقى جزاءك فيه، وكم نال المناصب العلية فأدركته المنية، فتوكلت أيتها النفوس على من أنشأك من ماء مهين، وأقبلت بالكلية على رب العالمين واعلمي أن تحت كل قدم أجسام ملوك وعلماء، وعظام شجعان وكبراء طحنهم الموت فلم يبق لهم آثاراً، فنكحت بعدهم نساؤهم وعمر غيرهم الديار، وصاروا رهن الثرى، إما إلى روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النار، تعبوا في جمع الأموال فعذبوا عليها، وسهروا في جلب الدنيا ففارقوها نادمين عليها، وانتفع بها غيرهم. لا سعادة للعبد إلا بالعمل الصالح المقبول، ولا خير يناله إلا بعد المجاهدة للوصول. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق ٣٠، ٢.

النفوس

بين لنا ما هي محبة الله؟

الهدى

إن الإنسان لا يجب الله إلا إذا عرف نفسه وفهم منزلته من مراتب الوجود، حتى يعلم أنه من عدم أنشأه، وأوجد له ما في السموات وما في الأرض فضلاً منه قبل أن يبتدئه، وعلى أحسن التقويم صورته، ولمواجهته العلية في مقعد صدق خلقه وقدره، وجعل له عقلاً يعقل عنه سبحانه آياته، وفكراً يسبح في ملكوته الأعلى فيقتبس النور من مشكاته، ولساناً ناطقاً بالحكمة وقلباً مشرقاً بالفطنة، حملة الأمانة بعد أن أبتها السموات والأرض والجبال، وأقامه خليفة عنه في الأرض وبين له الحرام والحلال.

إذا علم الإنسان تلك الأسرار تناول رحيق (لا حول ولا قوة إلا بالله) ففر إلى الله من نفسه وحظه وهواه، ولديها يجب من تفضل عليه، وببره وإحسانه والاه، فيلاحظ بجوهر نفسه الطاهر القريب الظاهر القادر، وبسره العامر بالأنوار، عظيمة الكبير القهار، ويجب من عليه بهذا الخير العظيم تفضل، ويبدل النفس والنفائس لكي بها إلى الله يتوصل، حُباً في نيل فضله ورضاه، والفوز بشهود وجهه العلى يوم لقاءه، وهذه محبة السالكين الذين ذاقوا حلاوة

علم اليقين، قال رسول الله ﷺ: (أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني لحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي)، وقال ﷺ: (تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله)، فإذا حصلت تلك المحبة سارع الإنسان إلى نيل القربة، فحافظ على أركان الإسلام، حباً في ذى الجلال والإكرام، ولديها يبحث عن العالم العامل المرشد الكامل ليتلقى عنه علمه متيقناً، ويعمل بعمله محسناً، حتى يفوز بقسط من محبة الله تعالى له، فإذا أحبه الله قبل علمه وعمله، فصار عاملاً من عمال الله، دالاً على الله بالله، كما قال الله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩.

وبعد هذا المقام محبة المقربين. حقيقتها غامضة لا ترسم، وهى من علوم الروح لغير أهلها لا تعلم، وإنما تتلقى من أهلها بالإشارة، لأنها لا تُحد بالعبارة، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ يَشَاءُ أُمَّتًا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١، وقال ﷺ: (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا ذكروه أنكروه أهل الغرة بالله).

ومن أحب الله سارع إلى ما به التقريب، وبذل النفس والنفاس فيما يحبه الحبيب، وقد بين ما يحبه سبحانه في كتابه وشرح إليه صدور أحبابه، وأقوى برهان على المحبة صرف الأنفاس في القيام بما فرض الله وسنه رسول الله ﷺ لنيل القربة، ومن أهمل في السنة والفرض وادعى المحبة هلك يوم العرض، وكيف يعصى المسلم أمر الله ويطمع يوم القيامة في النجاة، والعاصى عدو ربه حتى يتوب من ذنبه، وليست محبته إلا دعوى يدعيها أهل الضلال، لأن المحبة نار تستعر في القلوب تجذب إلى ذى الجلال، وهى سر بين الله وبين عبده، لا يبيح بها إلا من تعرض لرده، ومن أباح بمحبة الله لعباده لا يفوز بمراده.

المحبة نار لكن ما ألذها للنفوس الزكية، وآلام ولكن ما ألطفها على من منحوا العطية، عناء الحبيب راحة، وعذابه في الحبيب بهجة ينال بها أفراحه، يجوع فيطعمه على بساط مؤانسته، ويسهر فيؤنسه على موائد كرامته، نام البطالون وقام المحبوبون، وشبعت بطون أهل الهوى، وجاعت قلوبهم من التقوى، وجاعت بطون أهل المحبة، واطمأنت قلوبهم بعواطف المتفضل عليهم بالمنة، ارتاحت أبدان أهل الجهالة على الفراش الوطئ من الحرير،

وسبحت أرواح أهل المحبة مشتاقة إلى من ليس له نظير، تراهم بين الناس جلوساً، وأرواحهم شربت بيد الحبيب من طهور الشراب كؤوساً، أطاعوا الله فملكهم نفوسهم، فسألوه فوهب لهم أنسه، ففروا من كل شئ إليه وأقبلوا به عليه، فهم المحبون المحبوبون، المحاضرون مع الناس بأجسامهم وهم بقلوبهم عنهم غائبون، رضى الله عنهم ورضوا عنه.



النطق بالحكم

يجلس العدل (رئيس المحكمة) على منصة الحكم، وعلى يمينه الهدى والعلم، وعلى يساره الرحمة والتوفيق، ويجلس أمام العدل العقل نائباً عن النفس الملكية، وعلى يمينه العدالة والنور والكرم، وعلى يساره الشجاعة والروية والعفة، ويجلس وراء العقل النفس السبعية، وعلى يمينها النفس الشهوانية والحس والتهور، وعلى يسارها الشهوة والجبن والبخل والغدر.

رئيس المحكمة

باسم الحكم العدل افتتحت المحكمة.

العدل افتتح أهل الصفا، بعد الوفا بتحية الإسلام قائلاً: السلام عليكم، ثم يتندى فيقرأ قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ١٧، ١٨، إني أبشركم عن رسول الله ﷺ الذي يبشرنا من الله عز وجل بصريح الآية، والله الحمد والمنة، والثناء الحسن الجميل، وله سبحانه وتعالى الشكر على ما تفضل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الحكم في قضية الصلح الكبرى

بما أن أصول الاختلاف الذى أدى إلى الإلتلاف، هو تباين قوى النفوس والمفارقة في المقصود، لأن لكل نفس حقيقة تغاير كل نفس أخرى، ولكل نفس قصد هو بها أخرى، وللنفوس عناصر متضادة لا يمكن اتحادها، لأن كل نفس عن خير الأخرى صادة، وقد جمعها الله جميعها وقهرها على الاتحاد، وكلفها بالتوسط والسداد، وبالمجاهدة الكبرى تنال المراد.

وحيث أن كل نفس تسارع إلى ما يلائمها في العاجل، ميقة أنها بذلك تنال الخير المتواصل.

وحيث أن الملائم محبوب مرغوب فيه، وهذا الملائم محسوس للنفوس والحظ لها بيديه.

وحيث أن الخيرات المعنوية، فضائل عن المحس خفية، لأنها لذة للعقول والأرواح الزكية، وعناء للحس والنفوس البهيمية.

وحيث أن الشرور التى أدت إلى فساد المجتمع، هى الحسد والحرص والطمع، ومقتضياتها في فطر النفوس بالقوة ينتجها الفعل أو يلفظها الشرع بالفضل.

وحيث أن تلك الشرور نتجت عن جهل لا عن علم وقصد، فبذلت كل نفس في ملائمتها الوسع والجهد.

وحيث أن التفاهم أظهر لكل نفس ما تناله من الخير والسعادة بالطاعة لله ولرسوله ﷺ أخذاً بالعزائم، لتفوز بعد المجاهدة بالغنائم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء ١١٠، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ النساء ٦٤.

وحيث أن النفوس علمت كل واحدة منهن حقيقتها، وتبين لها حكمة إيجادها وسر إمدادها، وتحققت أن القادر الحكيم الذى أبدعها، ومن العدم أنشأها، ومن الصلصال

صاغها، ومن الماء المهين في القرار المكين صورها، فهو سبحانه وتعالى أعلم منها بخيرها وبإصلاحها وصلاحتها وفطرها، وألهمها سبحانه وتعالى تقواها وفجورها، وهداها سبحانه وتعالى النجدين.

وحيث أن النفوس قد صفت ووعت، ولطلب النجاة ونيل السعادة الدائمة سعت وأسرعت.

وحيث أن النفوس وإن زكت، والعقول وإن كملت لا تخلو من هوى خفى يدعو إلى حظ وبى، بل ولا تنتزه عن الغفلة والنسيان ولا عن الخطأ عند البيان.

وحيث أن الحق الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو ما أتانا به رسول الله ﷺ من عند الله سبحانه وتعالى بعظيم فضله ولطفه، هذا الكتاب الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة من العقيدة الحقة، والعبادات الواجبة والمعاملات الحسنة والأخلاق الجميلة إلا أحصاها، وقال الله تعالى: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ الْكِتَابَ مِنَ شَيْءٍ﴾ الأنعام ٣٨.

وحيث أن سلفنا الصالح تمسك به، فعم الفضل والعدل كل مكان، وأخذ كل موجود من الحيوان والإنسان قسطاً من الإحسان، لا فرق بين المسلم والكافر، حتى صار المجتمع الإنسانى كعائلة واحدة لوالدين رحيمين، وهما الكتاب والسنة، والمنفذ لأحكامها، وأبناء بررة وهم المجتمع الإسلامى وأهل ذمته.

وحيث أن تلك الشرور التى عم شرارها وانتشرت نارها، سببها الالتفات عن الكتاب والسنة وطاعة الحس والهوى، حتى أصبح الولد يعادى أباه والأخ يحارب أخاه، فنرى الأبدان متلذذة بالطعام، والقلوب ملتهبة بشواظ البغضاء فى اصطلام.

وحيث أن تلك الحياة أدنى من حياة البهائم فى كون الفساد، وبعدها يكون العذاب الأليم فى يوم التناد، فيتمنى كل إنسان لو أنه لم يوجد، قائلاً: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ الباء ٤٠.

وحيث أن هذه الحقائق ثابتة لا شك فيها، ومهما حاول عدونا إبليس فإنه لا يخفيها.

حكمت، بعد المشورة، وبعد فهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾

النساء، ١٣٥.

أولاً نسارع إلى القيام بما أمرنا الله به سبحانه بقدر الاستطاعة، وأن نترك ما نهانا الله عنه جملة واحدة، ولا سبيل إلى القيام بهذا إلا بعد تحصيل العلم النافع، حتى تستبين سبيل الله لسالكها، وتتضح الطريقة القويمة لقاصدها، وانتقاء الهداة المرشدين الدالين على الحق بالحق، وتنفيذ أحكام القرآن والسنة بالزجر والتعذير والقطع والنفي والصلب، فإن لكل مرض دواء ولكل علة شفاء، الدواء الذى ركبه أحكم الحاكمين، هو الشفاء الحقيقى لمجتمع المسلمين، ننداوى بهذا الدواء ليشفينا الله تعالى من كل الأدواء، ويمكن لنا فى الأرض حتى نكون خلفاء عنه فى طولها والعرض، معتقدين أن هذا الدواء به نيل السعادة والرفاء، والتنعم فى كون الفساد بالملك والهناء، وبالنعيم الأبدى فى دار الأُنس والبقاء، فتكون آلام هذا الدواء ملاذاً تبتهج بها الأرواح، وعافية ترتاح بها الأشباح، هذا كله إذا تحققت محبة العبد لربه، وعلم العبد أن الله إنما أمر العبد ونهاه ليحبه، ويلزم أن يكون ما يحبه الله ومن يحبه أحب إلينا من أنفسنا سهلة وصعبة، وما يبغضه الله إلينا أبغض إلينا من الحطمة الحمية، ولو كان أشهى إلى أنفسنا من الحياة الهنية، لأن الله افتتح إيجادنا وإمدادنا برحمته وفضله، وسخر لنا ملكه وملكوته من عاليه وسفله، ومنحنا عنايته فيما أظهره لنا بوسع الإحسان، وما أمرنا ونهانا إلا ليعمنا بكرمه والحنان، فلا نطيع هوانا فنرتد عن السعادة الحقيقية هواناً، ولا نحب ما يكره ولا من يكره فنضل بعد هُدانا، نجاهد فى ذاته نفوسنا حق الجهاد حتى تطيع المنعم الجواد، ومن لا يجاهد نفسه فى ذات الله لا يفوز برضاه، ولا يجاهد من عاداه، نحب الآخرة لأن الله مدحها ورغبنا فيها، ونكره الدنيا لأن الله ذمها وكرهنا فيها، فنحب ما حببنا فيه الله شوقاً إلى قربه ورضاه، ونكره ما كرهنا فيه ولو كانوا آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، لتتحد به سبحانه وتعالى ونتنعم بأنوار تجليه، ونحب رسول الله ﷺ حباً يجعلنا نتشبه به فى كل معانيه،

فنجحى سُنَّته السمحاء ببذل النفس والنفائس والأبناء، ونصونها عن التغيير والتبديل، بدفع
المبتدعين والأعداء، معتصمين بالله تعالى، مستمدين بروحانية رسول الله ﷺ.

النفوس تجيب العدل بصوت واحد:

أطعنا رسول الله سعديك	سمعنا لداعى الحق لبيك لبيك
فجمل بعفو رب صنع يديك	إلى الله تبنا مخلصين له به
أنبنا بفضل منك رب إليك	ندمنا على ما كان منا إلهنا
بصدق توكلنا الجميع عليك	أغثنا إلهى بالقبول فإننا
لنحيا بفضل منك رب لديك	أعنا على نيل الرضا منك سيدى

ثم مصافحة بين النفوس وعناق بعد جفاء وفراق، ومؤانسة واعتذار بعد وحشة واغترار،
ثم اتحاد وائتلاف بعد تضاد واختلاف، فإجماع على البحث عن العارف الربانى، والعالم
العامل الروحانى، من وهب الله له لسان البيان، وتفضل عليه بالحكم والتبيان، طيب
النفوس وقائدها إلى حضرة القدوس، ذى الأحوال السنية، والأعمال السنية، ترجمان القرآن
وميزاب الإحسان، ورحمة الله الذى يتفضل الله به على بنى الإنسان فى كل زمان ومكان،
الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ومشكاة الأنوار المحمدية، المشرق من
حضرة رسول الله ﷺ بالأضواء، محل نظر الله من عباده، ومظهر عنايته سبحانه بعباده
وإمداده، من جملة الله برحمة من عنده، ووهب له سبحانه علماً من لدنه، من حققه الله بكمال
العبدية فى مقام العبودية وحل التقوى بالعبادة، العبد الوارث المتمكن، الذى تجاوز
المقامات وتعدى الأحوال، وانتشلته عناية الله من وحلة التوحيد، وأنقذته من بادية الإلحاد
بالقبول والإقبال، لتلقى عنه آيات الله وتعلم منه الكتاب والحكمة، وتنزكى على يديه وتعلم
بالاتحاد ما لم تكن تعلم، فإن الله تعالى أكرم أمة حبيبه ومصطفاه، أن يحفظ لهم ميراث الحبيب
المصطفى ﷺ، فيظهره سبحانه وتعالى بعد كل فترة من الزمان، فضلاً منه وإحساناً.

ولما أن زكت النفوس وتطهرت من درن الحظ والبؤس، كان الإمام المرشد ضالته المنشودة
وبغيته المقصودة، ومن اشتهى شيئاً أعطاه الله إياه.

ولما أن ظفرت بطلبتها، ونالت من فضل الله رغبتها، لزمتم هذا الجناب فتناولت طهور
الشراب، وأقبلت على الكريم الوهاب مستجدية بعد الإقبال نيل عواطف التواب، فقبلها
الله وأقبل عليها وأفاض ظرائف العرفان ولطائف الإحسان عليها.

تمت الرواية



